قال سبحانه وتعالى:
«قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»
يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال: هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ:
«وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»
حديث صحيح

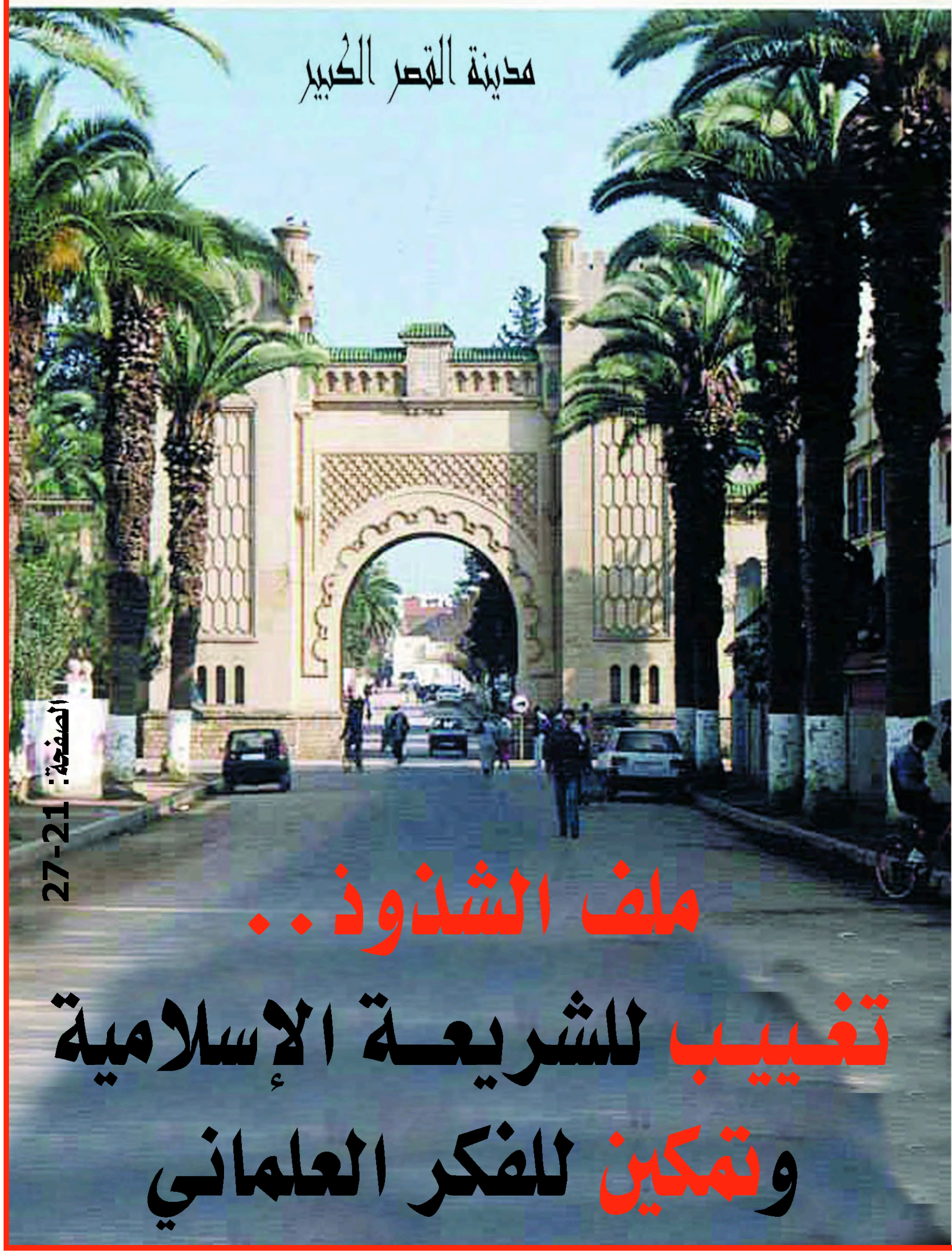
تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا - المدير المسؤول: إبراهيم الطالب - رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 - العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428هـ الموافق 01 يناير. 2008 م - الثمن 5 دراهم

واقع التعليم الأصيل في المغرب.. تهميش واستهتار

شعبة بدون مقررات دراسية وأستاذ واحد يدرس ست مواد

الصفحة: 7



ملف الشذوذ..

تغييب للشريعة الإسلامية وتمكين للفكر العلماني

الصفحة: 27-21

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

"كلمة العدد"

صمت العلماء واستكبار العلمانيين

لا يشك المراقب للتطور الذي شهده المغرب في العشر سنوات الأخيرة، أن بلادنا تجري بخطى حثيثة نحو الانفتاح الشامل على الدول الغربية، انفتاح يضع مقومات الهوية والدين في مهب العواصف والأعاصير، انفتاح يجعل المواطن المغربي المسلم يتملّكه الخوف على دينه وعرضه، هذا المواطن المسكين الذي أصبح في سنوات الانفتاح هذه يعيش في رعب دائم ووجل مستمر على بناته وأبنائه من واقع منفتح على كل رذيلة وفسق، يرسل فلذات كبده إلى مدارس وجامعات محفوفة بكل دواعي الانحراف والفساد، فكيف لا يعيش في وجل وخوف دائمين وهو يعلم أن المخدرات و"القرقوبي" يباعان في أبواب المؤسسات التعليمية، وأن أكبر نسبة للحمل من الزنا هي في صفوف المراهقات.

إن تجليات الانعكاسات السلبية للانفتاح على الغرب أخذت تكتسي خطورة كبيرة على مستوى العقيدة والأخلاق، مما جعل أغلب المغاربة الغيورين على دينهم يفقدون أي أمل في الإصلاح، خصوصا مع هذا الصمت الرهيب للهيئات الرسمية للعلماء، فبالأمس القريب نظم عيد للخمور بمدينة مكناس دعت إليه القنصلية العامة الفرنسية وأقيم في أحد المآثر التاريخية ذات رمزية خاصة في الذاكرة المغربية "قصر المنصور"، وكأننا مازلنا في أيام الاحتلال، فمرّ الأمر بالنسبة للمجلس العلمي بمكناس وكأن شرب الخمر لا يخالف الدين الإسلامي.

ولم يهدأ غضب المغاربة ولم تخبوا الحرقة في أكبادهم بعد، حتى انفجرت فضيحة القصر الكبير وانفجرت معها صدور أهل المدينة غضبا على استفحال ظاهرة الشذوذ، فخرج الآلاف منهم يحتجون على ذلك، وفي غياب كامل للسادة العلماء قامت التلفزة العلمانية "دوزيم" كعادتها بدورها في دعم الفكر العلماني مادام حراس الدين والهوية آثروا البقاء في غياهب الصمت، واستمرؤوا تحييدهم من طرف من يهمهم أن يخلو الجوّ لدعاة الانفتاح.

لقد جرأً الغياب الكامل للعلماء عن الساحة الكثير من السفهاء على المجاهرة بدعم الرذيلة وترويجها، كما وقع في برنامج "مباشرة معكم" الذي جمع فيه مُعِدّه مجموعة من العلمانيين يدافعون عن الشذوذ والشواذ على مسمع من كل المغاربة وعلى قناة تموّل من جيوب المغاربة المسلمين، مطالبين بالتعامل مع فئة الشواذ بشكل حضاري.

فأي حضارة يحيلنا عليها العلمانيون كي نقتبس أسلوبها في التعامل مع الشواذ؟

وهل يعترف العلمانيون بحضارة فوق وجه الأرض غير الحضارة الغربية؟

أم أن المغرب في نظر العلمانيين أكثر حضارة من بلدان أوربا التي قننت الزواج المثلي؟

ألا يدعو العلمانيون في المغرب ليلا ونهارا إلى إعادة قراءة نصوص القرآن والسنة وفق الثقافة الكونية: ثقافة الأمم المتحدة؟

ألا تدعو الأمم المتحدة إلى عدم التمييز بين الناس حسب ميولاتهم الجنسية، وتعترف بحقوق الشواذ في الزواج، وتدعو الدول إلى احترام شذوذهم وسن القوانين لحمايتهم؟

فإن كان الأمر كذلك وهو كذلك بالتأكيد، فإن العلمانيين في المغرب كما أزاحوا الولي من عقد الزواج لن يرتاح لهم بال حتى تسن قوانين تشرع الزواج المثلي. فالله الله في دينه يا علماءنا الأجلاء فأنتم ضمير الأمة وعقلها.

إن سياسات الانفتاح التي يطبقها المغرب لتفادي السكتة القلبية والتي من أجل إنجاحها تكمم أفواه العلماء لكيلا تخوض في القضايا الدينية ذات الصلة بالاقتصاد أو السياسة العامة، هي نفسها التي سوف تصيبه بسكتة دماغية مهلكة، فلن تكون الدول الغربية بالغباء حتى تدع بلدا كالمغرب يتجاوز عتبة الفقر باستثماراتها، حتى تعلم علم اليقين وترى بعين اليقين أن أبناءه قد مسخت هويتهم، وانطفأت جذوة الدين في قلوبهم، فأصبحوا علمانيين يعبدون الحرية الفردية فيقبلوا بالشذوذ والسحاق، وتتساوى لديهم معاني العفة والطهر مع معاني الرذيلة والفسق، ويكفرون بحق الإله سبحانه في التوحيد والعبودية فيتساوى لديهم الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، أو ليس هذا ما تدعو إليه الأمم المتحدة التي أنشأها الغرب المحتل لعولمة العلمانية؟ أو ليس هذا ما يدعو إليه العلمانيون بالمغرب جهارا نهارا على صفحات جرائدهم ومجلاتهم وعبر القنوات التلفزية والإذاعية..

إن كل العلمانيين الذين يعتبرون أن تعاليم الإسلام قد أصبحت متجاوزة في ظل ثقافة حقوق الإنسان حري بهم أن يتأملوا ويتفكروا في قول الله سبحانه وتعالى: "إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ، لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ".

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

السبيل

قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل

مرض الشكوك والشبهات ومرض الشهوات والمحرمات

إن الأمراض و الآفات التي تصيب الإنسان على كثرتها ترجع إلى مرضين اثنين:

- مرض الشهوات.
- ومرض الشبهات.

على أن هذا الأخير أقتل للقلب من الأول، ومع كثرة ورودهما في القرآن إلا أن التمييز بينهما يُدرك من السياق.

فإن كان هذا السياق في ذم المنافقين والمخالفين في شيء من أمور الدين، كان مرضَ الشكوك والشبهات، وإن كان السياق في ذكر المعاصي والميل كان مرضَ الشهوات. ووجه انحصار المرض في هذين النوعين: أن مرض القلب خلاف صحته، وصحة القلب الكاملة بشيئين: كمال علمه ومعرفته ويقينه، وكمال إرادته وحبه لما يحبه الله ويرضاه.

فالقلب الصحيح: هو الذي عرف الحق واتبعه، وعرف الباطل واجتنبه، فإن كان علمه شكاً وعنده شبهات تعارض ما أخبر الله به من أصول الدين وفروعه، كان علمه منحرفاً، وكان مرض قلبه قوة وضعفاً بحسب هذه الشكوك والشبهات، وإن كانت إرادته ومحبته مائلة لشيء من معاصي الله، كان ذلك انحرافا في إرادته ومرضاً.

وقد يجتمع الأمران فيكون القلب منحرفاً في علمه وفي إرادته.

فمن النوع الأول: قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} (البقرة) وهي التقاليد والشكوك والشبهات المعارضة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم {فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً} (البقرة) عقوبة على ذلك المرض الناتج عن أسباب متعددة، كلها منهم، وهم فيها غير معذورين.

ونظير هذا قوله تعالى في سورة براءة: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ}، قال السعدي رحمه الله: "(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أي: شك ونفاق (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) أي: مرضا إلى مرضهم، وشكا إلى شكهم، من حيث إنهم كفروا بها، وعاندوها وأعرضوا عنها، فازداد لذلك مرضهم، وترامى بهم إلى الهلاك".

وكذلك قوله تعالى: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ} (الحج) فإن مريض القلب بالشكوك وضعف العلم أقل شيء يريبه ويؤثر فيه ويفتتن به.

ومن الثاني: قوله تعالى في سورة الأحزاب: {فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً} (الأحزاب) أي: مرض شهوة وإرادة للفجور، أقل شيء من أسباب الافتنان يوقعه في الفتنة طمعاً أو فعلاً.

فكل من أراد شيئاً من معاصي الله فقلبه مريض مرض شهوة، ولو كان صحيحاً لاتَّصف بصفات الأذكياء الأبرياء الأتقياء الموصوفين بقوله في سورة الحجرات: {وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً} (الحجرات).

فمن كان قلبه على هذا الوصف الذي ذكره الله، فليحمده على هذه النعمة التي لا يقاومها شيء من النعم، وليسأل الله الثبات على ذلك، والزيادة من فضل الله ورحمته.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

ارتفاعات صاروخية في الأسعار وتدني مستوى عيش الأسر
بنك المغرب يقر بارتفاع مؤشر كلفة المعيشة

أفاد بنك المغرب أن مؤشر كلفة المعيشة بالمغرب سجل ارتفاعا بنسبة 1,4% في شهر نونبر 2007، بدلا من نسبة 3,5% المسجلة في الفترة نفسها من السنة الماضية، في حين تراجعت نسبة التضخم الأساسي من 2,8% إلى 1,9%.

وبالمقارنة مع الشهر نفسه من السنة المنصرمة سجل الرقم الاستدلالي لتكلفة المعيشة خلال الأحد عشر شهرا الأولى من السنة الجارية ارتفاعا بنسبة 2,0%.

وأفادت المندوبية السامية للتخطيط، في آخر مذكراتها الإخبارية أن هذه الزيادة شملت كلا من المواد الغذائية بـ 3,2% والمواد غير الغذائية بـ 1,0%، في حين تميزت مجموعة السكنى بأعلى نسبة وصلت إلى 3,0%، بينما تراوحت نسب التغير في باقي المجموعات غير الغذائية ما بين انخفاض بـ 2,7% بالنسبة لقطاع النقل والمواصلات، وارتفاع بـ 1,9% بالنسبة للتجهيز المنزلي.



وسجل الرقم الاستدلالي لتكلفة المعيشة خلال شهر نونبر الماضي انخفاضا بنسبة 0,6% مقارنة مع شهر أكتوبر الماضي.

ويعود هذا الانخفاض إلى تراجع الرقم الاستدلالي للمواد الغذائية بنسبة 1,3%، نتيجة الانخفاض الذي شهدته على الخصوص أثمان الأسماك الطرية بنسبة 13,7%، والخضر بنسبة 2,6%، والفواكه الطرية بنسبة 8,3%، والفواكه اليابسة بنسبة 1,6%، والبيض بمعدل 14,9%، في حين عرف الرقم الاستدلالي للمواد غير الغذائية ارتفاعا طفيفا بلغ 0,1%.

ويعتبر المحللون أن ارتفاع الأسعار بالمغرب بات يشكل ظاهرة، وأنها تنامت منذ ارتفاع أثمان المحروقات قبل عامين، لكن تداعياتها تقوت في الأشهر الأخيرة.

فجل أسعار المواد الاستهلاكية خصوصا الزيوت والسكر، بعد اللحوم والخضر والفواكه، والقطاني والتوابل، وسائر المواد الغذائية وغير الغذائية، وتكلفة النقل والمواصلات، حققت قفزات صاروخية لم يسبق أن شهدتها الأسواق المغربية من قبل.

وتعكس الأرقام والإحصائيات والمقارنات، المتعلقة بالأسعار ومعدلات التضخم ومؤشرات تكلفة المعيشة، الواقع الصعب الذي تعانيه الأسر المغربية، والذي تجلت أول انعكاساته في مظاهرات احتجاجية شملت عدة مدن، وكان أبرزها احتجاجات صفرو.

وحسب المعطيات التي وردت خلال الدورة العادية لمجلس بنك المغرب التي انعقدت مؤخرا جرى تدارس التطورات الأخيرة، التي عرفتها الوضعية الاقتصادية والنقدية والمالية، وكذا التوقعات التي أعدتها مصالح البنك في إطار التقرير حول السياسة النقدية للفصل الأخير من سنة 2007.

وذكر بنك المغرب في بلاغ له أن التقديرات بالنسبة إلى سنة 2007 تؤكد التوقعات الواردة في تقرير السياسة النقدية لشهر شتنبر، وتظهر أن مسار التضخم سيبقى مستقرا في حدود نسبة 2%، إذ من المتوقع أن تصل نسبة التضخم إلى 2,1% سنة 2007، بدلا من 3,3، سنة 2006.

وأوضح البلاغ أنه من المنتظر أن يظل معدل التضخم، بالنسبة إلى الفصل الثالث من سنة 2008، مطابقا لهدف استقرار الأسعار، إذ يتوقع أن يصل متوسطه إلى 2,3% في حالة عدم تحقق أحد أو مجموعة من عوامل المخاطر.

ويرتبط أبرزها بأسعار المحروقات، والمنتجات، والمواد الأولية الفلاحية المستوردة، وبآفاق تطور الإنتاج والمداخيل..

صفقة طائرات "إف 16" مع المغرب أمام "الكونغرس"

أبلغت الحكومة الأمريكية بشكل رسمي الكونغرس نيتها إتمام الصفقة التي عقدتها مع المغرب، والتي تتكون من 24 طائرة حربية من نوع "إف 16 سي دي" مرفقة بأحدث التجهيزات بكلفة قدرها 2,4 مليار دولار. وبالتالي تكون الشركة الفرنسية "داسو أفياسيون" قد خسرت بشكل نهائي أي أمل في صفقة طائرات "الرافال" التي كانت ستعقدها مع المغرب.



ومع إتمام الصفقة سيصبح المغرب المالك رقم 25 لطائرات إف 16 حول العالم التي تصنعها شركة "لوك هيد مارتن" الممول الأول للبانتاغون الأمريكي. وإذا ما قبل المغرب بجميع الخيارات المقترحة، فإن الصفقة ستبلغ تكلفتها 2,4 مليار دولار.

وقال "البانتاغون" إن "إف 16" تمثل الطائرة الحربية الأكثر مبيعا في العالم، وحسب القوانين الجاري بها العمل في الولايات المتحدة فإن للكونغرس الحق في إلغاء أية صفقة تجارية خلال 30 يوما من تاريخ عقدها.

وفي تصريح للمدير العام لشركة "داسو" الفرنسية "شارل إدلستاين"، أكد أنه بعد 15 سنة من التسويق الفاشل لم يعد أمام الشركة سوى المراهنة على صفقة تجارية مع ليبيا التي تنوي اقتناء 14 طائرة من نوع "رافال".

وقال داسو: "لم توقع الصفقة بعد.. سنتفاوض وآمل في توقيع العقد في مهلة شهرين إلى ثلاثة أشهر وحتى قبل ذلك". وبدأت ليبيا مفاوضات مع فرنسا بهدف شراء معدات عسكرية بقيمة إجمالية قد تصل إلى 54 مليار أورو.

ويعتزم "البانتاغون" بيع المغرب صنف "بلوك5250 الأكثر تطورا من طائرات "إف 16" حيث لا تمتلك صنفا أكثر تطورا منها سوى الإمارات العربية المتحدة التي اقتنت في وقت سابق صنف "بلوك 60".

وستكون الطائرات التي تصنعها شركة "لوك هيد مارتن" مجهزة بنظام للطيران يستعمل الأقمار الاصطناعية، ومعدات إلكترونية للقتال، وغيرها من آخر مستحدثات التكنولوجيا الحربية.

أزيد من 50 ألف نزيل في 59 سجنا بالمغرب

وصل نزلاء 59 سجنا في المغرب إلى 55,600 سجين، 1700 منهم دخلوا السجن خلال الشهرين الأخيرين، فيما تبلغ عدد النساء به حوالي 140 امرأة، من بينهم حوامل.

ويعد الاكتظاظ السمة الغالبة لمختلف المؤسسات السجنية، التي تستقبل ضعف طاقتها الاستيعابية، فيما يشكو بعض النزلاء، خصوصا المعتقلين الإسلاميين على خلفية الانتماء إلى "تيار السلفية الجهادية"، من العنف وسوء التغذية، ما أدى إلى تسجيل عشرات الوفيات.

وفي محاولة لتجاوز هذه الأوضاع، أعد المغرب مخططا لإصلاح قطاع السجون يهدف إلى إيجاد حلول ملائمة للمشاكل التي يعاني منها القطاع، حسب ما أكده وزير العدل عبد الواحد الراضي.

وقال المسؤول الحكومي في معرض رده على سؤال شفوي بمجلس المستشارين حول "وضعية السجون": أن السجون تعاني من عدة مشاكل منها على الخصوص الاكتظاظ والأمن، والتغذية والعلاج، والتأطير وإعادة الإدماج، مبرزا أن الوزارة قامت مؤخرا بإرسال معطيات مرقمة إلى الوزير الأول تتعلق بحاجيات إدارة السجون.

وعزا وزير العدل هذه الوضعية إلى قلة الإمكانات المادية والبشرية، مؤكدا أن القطاع لكي ينتقل إلى وضعية "العادية"، يحتاج إلى ضعف الميزانية المرصودة له حاليا.

وفيما يتعلق بالخصاص المسجل في الإمكانيات البشرية، أوضح الراضي أن القطاع يتوفر على 5000 موظف، بما فيها الحراس (حارس لكل11 سجينا مقابل حارس لكل ثلاثة سجناء في دول أخرى).

وخططت وزارة العدل لبناء حوالي 17 سجنا جديدا، وسيجري إنهاء ثمانية مشاريع أخرى توفر فضاء إجماليا يبلغ 270.000 ألف متر مربع. كما جرى التخطيط لتجديد بعض المرافق المكتظة وخاصة سجون أصيلا وطنجة ومراكش.

وطلب المرصد المغربي للسجون من السلطات إدخال عقوبات بديلة غير سجنية بإصلاح القانونين الجنائي والمسطري. كما أثار الأمين العام للمرصد المغربي للسجون الانتباه إلى وضع سجون القاصرين في البلاد.

وقال إن المؤسسات التأديبية القائمة في البلاد تظل غير كافية خاصة إذا كانت السلطة تسعى إلى إنجاح سياستها لإدماج القاصرين في العمل والمجتمع.

وبخصوص سوء المعاملة والوفيات المشبوهة في السجن، دعا المرصد المغربي للسجون أيضا السلطات إلى فتح تحقيق فوري وإرغام لجن المراقبة الإقليمية على القيام بواجبها.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

سيناتور جمهوري: تكاليف حروبنا 15 مليار دولار شهريًا

كشف السيناتور الجمهوري "تيد ستيفنز" نائب رئيس اللجنة الفرعية للمخصصات الدفاعية في مجلس الشيوخ الأمريكي أن تكلفة نفقات الحرب في أفغانستان والعراق والحرب ضد "الإرهاب" تقدر بحوالي 15 مليار دولار شهريًا.

وبحسب صحيفة "واشنطن بوست" فإن "ستيفنز" الذي يعد من أبرز مؤيدي بقاء قوات الاحتلال الأمريكية في العراق، قد قدّم تقديره لتكلفة الحرب في خطاب ألقاه في الكونجرس في معرض تأييده لتخصيص 70 مليار دولار إضافية في الميزانية السنوية لعام 2008 للإنفاق على الحرب خلال الفترة الواقعة بين الأول من أكتوبر 2007 وحتى 31 مارس 2008.

وفي مقال له بالصحيفة اعتبر "وولتر بينكس" الكاتب السياسي أنه وبينما يتركز اهتمام الرأي العام الأمريكي على الجدل السياسي حول عدد القوات، فإن خدمة البحوث التابعة "للكونجرس" أشارت في تقرير لها خلال شهر دجنبر 2007 إلى أن طلب حكومة الرئيس "بوش" تخصيص نحو 189 مليار دولار لتغطية تكاليف العمليات في العراق وأفغانستان ومكافحة "الإرهاب" في الميزانية السنوية لعام 2008 يزيد بنسبة 20 %عن ميزانية عام 2007 و60 % عن ميزانية عام 2006.

وزارة الدفاع تلتزم الصمت بشأن تقديرات "ستيفنز" ولم تعلق وزارة الدفاع الأمريكية على تقديرات السيناتور "ستيفنز"، واكتفت بأن أشارت إلى أن أحدث تقديراتها للإنفاق الشهري على الحرب في العراق وأفغانستان ومكافحة "الإرهاب" بلغت 11 مليارًا و700 مليون دولار حتى 30 من شتنبر 2007.

لكن كاتب المقال ركّز على أن الأرقام الكبيرة للإنفاق التي أعلنها السناتور "ستيفنز" ربما تُعزى إلى بلوغ مستوى عدد القوات الأمريكية في العراق ذروته خلال شهر نونبر 2007، وهو 180.000 كما نصت على ذلك ميزانية عام 2008، مشيرًا إلى أن هذا العدد سيتناقص تدريجيًا خلال الأشهر الثلاثة المقبلة.

وفي السياق نفسه تحدّث تقرير خدمة البحوث التابعة للكونجرس عن أن وزارة الدفاع لم تدرج في تقديراتها تكاليف العمليات الاستخباراتية ونشاطات سرية أخرى، أو تكاليف الإنفاق على الحرس الوطني وقوات الاحتياط.

"لوفيجارو": المقاتلون الصوماليون ينتهجون أساليب المقاومة العراقية

قالت صحيفة "لوفيجارو" الفرنسية أنه رغم التدخل الإثيوبي في الصومال في دجنبر 2006 فقد أضحت مقديشو عاصمة هذا البلد مأوى مفضلاً للجهاديين من كل بلدان العالم، فالحكومة الصومالية لا تبسط سيطرتها على كثير من مناطق هذه الدولة، وأن رئيسها يتلقى العلاج بلندن، بينما يحتمي وزراؤها في أعالي المدينة تحت حراسة مشددة.

وأوضحت الصحيفة أن طرد المحاكم الإسلامية من هذه المدينة أثلج صدور الأمريكيين الذين ساعدوا الإثيوبيين في إنجاز تلك المهمة لأنهم كانوا يخشون من قيام نظام إسلامي في القرن الأفريقي يكون مماثلاً لنظام طالبان بأفغانستان، ويتحول إلى مأوى للجهاديين من كل أنحاء العالم.

وأضافت: لكن بعد سنة من تلك العملية يبدو أن هذه الجبهة من الحرب العالمية ضد "الإسلام المتشدد" لم تعد تختلف عن جبهتيْ أفغانستان والعراق، الإثيوبيون لا يزالون في الصومال رغم إعلانهم في البداية أنهم سينسحبون في أسرع وقت ممكن، وزعماء المحاكم الإسلامية لجئوا إلى إريتريا، العدو التقليدي لإثيوبيا، بينما نشب تمرد قومي وديني ضد الإثيوبيين يقوده مقاتلون يطلق عليهم "الشباب".

وقالت "لوفيجارو" إن أعمال المقاومة في الصومال لا تختلف في أساليبها وقسوتها وضراوتها عما يقوم به العراقيون ضد قوات الاحتلال الأمريكي، بل إن المقاتلين الصوماليين ينتهجون الآن أساليب المقاومة العراقية ضد القوات الإثيوبية وحلفائها.

فلا تكاد تمر ليلة إلا ويُسمع دوي إطلاق النار، ويشاهد في الأفق تطاير الطلقات النارية كما لو كانت مذنبات.

كما تطغى أصوات الطائرات العسكرية الأمريكية وطائرات التجسس والزوارق الحربية على أصوات المولدات الكهربائية، بل إن ثمة توقعات حول وجود قوات أمريكية خاصة تقدّم المساعدة للقوات الإثيوبية في المدينة.

المدارس الإسلامية بالسويد تتفوق على نظيرتها الرسمية والنصرانية

كشف استطلاع خاص وموسع شمل عددًا كبيرًا من المدارس الإسلامية والبلدية الرسمية و"المسيحية الخاصة" في السويد عن أن أداء التلاميذ في المدارس الإسلامية أفضل بكثير من أداء نظرائهم في المدارس البلدية والنصرانية.

ومن خلال نتائج الاستطلاع صرحت المسئولة في منظمة حماية الطفل السويدية "ميكائيلا سيوجرين"، في محاضرة ألقتها في مؤتمر لاتحاد المدارس الإسلامية في السويد، بأن خلاصة الاستطلاع تؤكد تفوق طلبة المدارس الإسلامية في العديد من المجالات العلمية والاجتماعية وتفاعل العائلات مع هذه المدارس.

ونقلت مجلة المجتمع الكويتية عن "سيوجرين" أن هذا الاستطلاع، سوف يُنشر على نطاق واسع، وسيكون الردّ الأبلغ على الأصوات التي تدعو لإغلاق المدارس الإسلامية في السويد.

وفي اعتراف صريح قالت "سيوجرين": إن المدارس الإسلامية نجحت في الجمع بين المعرفة والأخلاق الحميدة، وهو ما تفتقده المدارس السويدية شكلاً وموضوعًا، لأنها باتت وكرًا للانحلال الأخلاقي وتعاطي المخدرات.

جدير بالذكر أن اتحاد المدارس الإسلامية في السويد هو مؤسسة تربوية إسلامية، يشرف عليها تربويون مسلمون حاصلون على الجنسية السويدية، وآخرون سويديون دخلوا في الإسلام.

ويضم الاتحاد ست مدارس؛ هي: مدرسة الأزهر، والمدرسة الإسلامية في العاصمة "ستوكهولم"، ومدرسة الأزهر في مدينة "أوربرو"، ومدرسة الإيمان في مدينة "أوبسالا"، ومدرسة "روسموس" في مدينة "يوتوبوري جوتنبورج" في الغرب السويدي، والمدرسة الإسلامية في مدينة "فيكخو".

رئيس لجنة التحقيق في هجمات شتنبر يتهم "CIA" بعرقلة عملها

اتهم رئيس لجنة التحقيق في هجمات 11 شتنبر 2001 وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية "CIA" بالتدخل في أعمال لجنته وعرقلة عملها.

وأعرب "توما" كينس رئيس اللجنة والحاكم السابق لولاية نيوجرسي، عن اعتقاده بأن ما قامت به "CIA" هو "محاولة عرقلة تحقيقنا؛ لأننا طلبنا منهم أي شيء له علاقة بالمعتقلين؛ لأنهم كانوا أكثر من يعلمون عن مؤامرة 11 شتنبر وهذا كان في إطار صلاحيتنا" بحسب شبكة "CNN" الإخبارية.

وأكد "كين": "لقد طلبنا من الـ "CIA" كل ما له علاقة بهؤلاء المعتقلين ولم نطلب ذلك مرة بل ثلاث وأربع وخمس وست مرات ولم يقدموا لنا هذه الأشرطة".

ولفت "كين" إلى أن الـ "CIA" تهربت من تقديم هذه الأشرطة بحجة أن "لجنة 11 شتنبر لم تطلب تحديدًا الأشرطة"، وهو ما زاد من غموض المسألة.

وأوضح أن لجنته طلبت "أي شيء يملكونه ثم قام نائبي في ذلك الحين "لي هاميلتون" بمواجهة مدير وكالة المخابرات المركزية وجهاً لوجه وقال له: إنه إذا طلبنا أي شيء فلأن ذلك يتعلق بموضوع تحقيقنا فوفروا لنا ما طلبناه لكنه لم يستجب لطلبنا".

ويؤكد "كين" أن لجنة التحقيق في هجمات شتنبر التي يرأسها ستواصل الضغط من أجل الحصول على الأشرطة وأنها ستوجه رسالة إلى الهيئات العليا للتدخل وإجبار هذه الوكالة على الرضوخ لمطالب لجنة التحقيق.

واعترفت "CIA" في السادس من شهر دجنبر 2007 بأنها دمرت مئات الساعات من أشرطة الفيديو في عام 2005 تبيّن التحقيقات مع المشتبه بهما من تنظيم القاعدة "أبو زبيدة" و"عبد الرحيم النشيري".

وكُشف الشهر الماضي عن امتناع الوكالة عن تسليم القضاء الفدرالي أشرطة الفيديو الخاصة بالتحقيقات مع "زكريا الموسوي" الذي اعتُقل بتهمة التخطيط لهجمات الحادي عشر من شتنبر.

إلا أن رئيس الاستخبارات الأمريكية زعم أن الأشرطة دُمرت في العام 2005 أي بعد أن طلبها القضاء الفدرالي، ونفت الوكالة وجودها في حينه.

ويزعم بعض الجمهوريين أن وكالة الاستخبارات الأمريكية عملت في الشهور الأخيرة بشكل منفصل لدرجة أنها ربما تكون قد خالفت سياسات الإدارة الأمريكية، ويدللون على ذلك بتدمير أشرطة التحقيقات. لكن آخرين في واشنطن، بينهم كثير من الديمقراطيين، لا يعتقدون أن الوكالة خرجت عن السيطرة لهذا الحد وأشاروا إلى أن محامين في البيت الأبيض تشاوروا مع الوكالة قبل تدمير الأشرطة، وقالوا إن الإدارة الأمريكية كانت أمامها فرصة على الأقل لإصدار أوامر بالحفاظ على هذه الأشرطة.

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004

رئيس التحرير:
إبراهيم الطالب

هيئة التحرير:
حماد القباج - رشيد مومن الإدريسي
نبيل غزال - علي نجم - محمد أبو الفتح -
أحمد السالمي - إبراهيم بيدون - عبد المجيد آيت عبو

المسؤول المالي:
إبراهيم الوزاني

العنوان: ص.ب 2177 سلا باب شعفة - سلا
الهاتف: 037.78.17.17
البريد الإلكتروني: assabil1@yahoo.fr

السحب: صفابرانت
التوزيع: شركة سبريس

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

مــن قتـــل بــوتـــو؟

حسن الرشيدي

"مشرف لم يتجاوز الخط الذي تصبح معه سياسته غير مقبولة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية".

هذا جزء من تصريحات الرئيس الأمريكي "بوش" في مقابلة مع محطة "إي بي سي نيوز" الأمريكية بثتها الشهر الماضي يدافع فيها ظاهريا عن نظام "برويز مشرف" في باكستان، ولكن يحمل في طياته تهديدا غير مباشر لهذا النظام الذي تعتقد دوائر كثيرة في الإدارة الأمريكية أنه يمارس معها سياسة الخداع.

وتحظى باكستان باهتمام دولي وإقليمي كبير لأسباب كثيرة أهمها الآن موقعها البؤري في الحرب الأمريكية ضد الإرهاب.

ولذلك منذ أحداث الحادي عشر من شتنبر والتي أعلنت القاعدة مسؤوليتها عنها من داخل أفغانستان فإن الولايات المتحدة تمارس ضغوطا هائلة ولا يستطيع أحد تخيلها على باكستان لكي تقوم بدور التابع لأمريكا في تلك الحرب.

وجاء اغتيال "بناظير بوتو" كأحد حلقات تلك الحرب.

لقد برز من خلال التصريحات والمقابلات أن "برويز مشرف" ومن وراءه المخابرات الباكستانية كانت غير راضية عن عودة "بوتو" فعودتها تمت من خلال ضغوط أمريكية لتغيير النظام الباكستاني العاجز من وجهة النظر الأمريكية عن مواجهة القاعدة أو طالبان لأسباب استراتيجية من النظام الباكستاني الذي يرى أن تخليه عن طالبان هو تخلي عن امتداد استراتيجي له داخل أفغانستان، والولايات المتحدة تدرك جيدا وتدرك أيضا طبيعة النظام الباكستاني الذي اعتمد مبدأ "البراجماتية" السياسية في مواجهة الضغوط الأمريكية، هذه البراجماتية تعتمد على تقديم التنازلات غير جوهرية والالتفاف على هذه الضغوط.

وهناك أمثلة عديدة على هذه التوجهات:

فعندما كثرت الضغوط على النظام الباكستاني في أعقاب أحداث الحادي عشر من شتنبر لدرجة أن طائرات صهيونية انطلقت من الهند واخترقت المجال الجوي الباكستاني فوق المفاعل النووي الذي لديها وذلك أثناء اجتماع بين السفيرة الأمريكية في إسلام أباد مع الجنرال "برويز مشرف"، ولذلك سارعت باكستان إلى سحب تأييدها لطالبان وتنازلت باكستان رسميا وظاهريا عن أفغانستان، وكذلك أثمرت الضغوط بالنسبة لكشمير فسكتت الأصوات الباكستانية المطالبة باسترداد الجزء المحتل من كشمير وحتى عندما زادت الضغوط من قبل الإدارة الأمريكية على باكستان لتسليم قيادات القاعدة وطالبان الفارين كانت القيادة الباكستانية تسارع إلى ضرب منطقة القبائل على الحدود الأفغانية الباكستانية وظهر الصراع هناك بمظهر الحرب الدائرة بين الجيش الباكستاني والقبائل الباشتونية على الحدود.

وهنا جاء دور المخابرات الباكستانية التي كانت تلتف دائما على المطالب الأمريكية، فحين كانت القيادة السياسية الباكستانية بزعامة "برويز مشرف" تستسلم ظاهريا للمطالب الأمريكية كانت المخابرات الباكستانية ترعى قيادات طالبان وربما القاعدة، ولا يتصور أن المخابرات الباكستانية القوية والتي لها خبرة طويلة منذ أيام الحرب السوفيتية على أفغانستان أن تجهل كل شبر وكل قرية على هذه الحدود حيث ينتشر عناصرها ومجنديها وعملاءها في تلك المنطقة.

وفي أعقاب أحداث الحادي عشر من شتنبر بعدة أشهر قالت "النيويورك تايمز": كانت وكالة الاستخبارات الباكستانية توفر منذ زمن بعيد ممراً آمناً لمجموعة كبيرة من سائقي الشاحنات والمهربين الذين يزودون ماكينة طالبان الحربية بكميات هائلة من الأسلحة، ولكن كان يفترض أن هذه السياسة قد تغيرت في شتنبر الماضي بعد أن وجهت واشنطن إنذاراً لباكستان.

وفي تحقيق لمجلة "نيوزويك" الأمريكية ذكرت فيه أنه بينما تواصل القوات الأمريكية مطاردة أعضاء القاعدة والطالبان في المناطق العشائرية في باكستان اجتمع كبار مسئولي حركة طالبان مؤخراً بالقرب من "بيشاور" وبالرغم من وجود مسئول من المخابرات الباكستانية إلا أنه تركهم يرحلون بدون أن يتدخل.



واعترف مسؤول كبير في الاستخبارات الباكستانية أن شحنة الثامن من أكتوبر من عام 2001 أي بعد القصف الأمريكي لأفغانستان كانت تحتوي فعلاً على أسلحة مرسلة إلى طالبان، لكنه قال إنها كانت آخر دفعة مقررة رسمياً، وإن الباكستانيين كانوا منذ ذلك الحين ملتزمين بتعهدهم للأميركيين.

وقد قال أحد مديري وكالة الاستخبارات في مقابلة أجريت معه مؤخرا: إنه لن يكون من اليسير بالنسبة للضباط أن يتخلوا عن معتقداتهم ويغيروا مواقفهم.

وتدل تصريحات يدلي بها مسئولين أمريكيين من حين لآخر وتسريبات للصحف والمجلات الغربية أن الإدارة الأمريكية تعتقد أن "برويز مشرف" أو على الأقل المخابرات الباكستانية تلعب لعبة مزدوجة معها ولكن لا تملك هذه الإدارة أي أوراق إلا ممارسة الضغوط القوية بمقدار ما تستطيع، حتى لا تفقد دعما معينا تقدمه هذه الإدارة للولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب.

إقحام "بوتو" قصرا في منظومة الحكم الباكستاني

مع زيادة الضغوط التي تتعرض لها الإدارة الأمريكية بعد فشلها في العراق وأفغانستان وعجزها عن القبض أو قتل قيادات القاعدة المسئولة عن أحداث الحادي عشر من شتنبر أي أنها في إطار بحثها عن إنجاز حقيقي تقدمه للرأي العام الأمريكي توالت الضغوط على مشرف لتقديم قربانا وهم قادة القاعدة الفارين، هنا عمدت الإدارة الأمريكية بعد نفاد حيلها مع نظام مشرف إلى تعديل كمي لهذا النظام بإدخال طرف موال للغرب في منظومة هذا الصراع فكان البحث عن شخصية سياسية يتوفر فيها شيئين:

تأييد مقبول من قبل الشعب الباكستاني، والموالاة للغرب، وأفضل من يمثل هذه الحالة هي "بنازير بوتو" فجيء بها ومورست ضغوط كبيرة على نظام "برويز مشرف" للقبول بها وإدخالها بطريقة ما في منظومة الحكم الباكستاني لكي تقود الحملة ضد الإرهاب وقيادات القاعدة الفارين.

ويبدو أن المخابرات الباكستانية أدركت ذلك فعملت على تجاوز ذلك التغيير المطلوب أمريكيا فعمدت إلى اغتيال "بوتو" وسواء تم ذلك بواسطة المخابرات الباكستانية مباشرة أو عن طريق بعض الجماعات الباكستانية المتطرفة المخترقة من طرف المخابرات الباكستانية فإن المحصلة النهائية تبقى الجهة المسئولة عن الاغتيال هي واحدة.

ولكن رد الفعل الأمريكي على الاغتيال هو التطور المنتظر حدوثه مستقبلا، والذي تدركه جيدا الجهة التي وقفت وراء قتل "بوتو".

بعد العراق وأفغانستان..
هزيمة أخرى للاحتلال بالصومال

علي صلاح

ما زالت الشعوب الإسلامية تثبت يومًا بعد يوم أنها قادرة على المقاومة والمواجهة بأقل الإمكانيات، وأنها ما زالت تنبض بالحياة التي يحاول الآخرون سلبها منهم.

ورغم كل المصاعب التي تمر بها هذه الشعوب فعندما تتكاتف وتضع هدفًا أمام أعينها وتشحذ طاقتها الإيمانية تسقط الأقنعة عن القوى الزائفة.

لقد راهن الاحتلال الغاشم على ضعف الشعوب الإسلامية بعد طول اضطهاد وظلم وحصار ونهب للخيرات وتدبير للمؤامرات؛ حتى تخيّل أنه سيجد جثثًا هامدة يسهل إخضاعها، إلا أن الدروس تتوالى لتؤكد خيبة ظنه.. فبعد هزيمة منكرة يتحدث عنها الأصدقاء قبل الأعداء للاحتلال في العراق وأفغانستان ها هو الذنب الصليبي العميل يجر أذيال الخيبة والخسران في الصومال، فقد أقرّ مدير الأمن في وزارة الأمن الوطني في الحكومة الانتقالية شيخ قاسم إبراهيم نور، بأن الحكومة غير قادرة على مقاومة "الإسلاميين" أو إيقافهم، وأكد المسئول الأمني أن "نحو 80% من أراضي الصومال ليست آمنة وليست تحت سيطرة الحكومة، وأن الإسلاميين يعيدون تجميع صفوفهم تحضيرًا لشن هجوم كبير ضد الحكومة والقوات المتحالفة معها".

يأتي ذلك بعد أن انسحبت القوات الإثيوبية من بعض المناطق في العاصمة مقديشو، حيث استرجعتها المقاومة وقامت بفرض تطبيق الشريعة عليها، وكان رئيس الوزراء الإثيوبي قد مهّد لتلك الخطوة عندما صرّح بأن قواته ستنسحب من الصومال، وتنتشر على الحدود، وذلك بعد المقاومة الشرسة التي واجهتها.

لقد استعانت واشنطن بالقوات الإثيوبية لتحقيق أهدافها في الصومال لسببين، الأول: أنها غير مستعدة لمزيد من التورط في حروب مباشرة بعد ما ذاقت الأمرين في العراق وأفغانستان؛ والثاني لأنها ظنت أن الجنود الإثيوبيين أقدر على التعامل مع الشعب الصومالي من جنودها، خصوصًا وأن لإثيوبيا مصالح من دخول الصومال لقطع الطريق على إريتريا، ونيل المزيد من الكرم الأمريكي!

وزيرة الخارجية الأمريكية من جهتها شعرت بحجم الخسارة، وخشيت من رجوع المحاكم للسيطرة على الصومال فدعت إلى نشر المزيد من القوات الأجنبية، بعدما أثنت على أوغندا التي نشرت بعض الجنود هناك، كما وعدت "رايس" بتقديم مساعدات للبلاد التي ستقوم بنشر قواتها في الصومال؛ وذلك إثر تراجع العديد من الدول عن إرسال جنودها بعد تصاعد المقاومة.

لم تنسَ أمريكا تطبيق سياستها العرجاء عندما تشعر بالهزيمة؛ فقامت بدعوة المقاومة للحوار، كما فعلت من قبل في العراق وأفغانستان؛ وجاءها الرد المتوقع كالعادة على لسان "شريف أحمد" رئيس تحالف المعارضة الصومالية، الذي رفض القبول بأي اتفاق أو حتى إجراء محادثات، مطالبًا بخروج قوات الاحتلال الإثيوبي أولاً من البلاد، وأضاف أحمد: إنه إذا انتهى الاحتلال الإثيوبي ففي هذه الحالة يصبح التفاوض ممكنًا.

عاش الشعب الصومالي ستة أشهر في أمن وأمان؛ عندما سيطرت قوات المحاكم على أغلب مناطق الصومال، وقاموا بتطبيق الشريعة على البلد المسلم، ولم يتورطوا في مهاجمة أي بلد أخرى أو يدعو إلى ذلك، إلا أن "بوش وأعوانه ساءهم الأمر، وقرروا محاربة الفزاعة المصطنعة لتنفيذ المصالح الأمريكية الإرهاب" فماذا حدث بعد ذلك إلا المزيد من الدمار والخراب.

لم يتدخل "بوش" عندما كان أمراء الحرب يعيثون فسادًا في البلاد، ويسقط يوميًا مئات القتلى والجرحى، أما وقد حكم الإسلام وانتشر الأمن فالآن وجب هدم المعبد على رؤوس من فيه، إنها صورة أخرى من صور الاضطهاد والاستغلال تحت شعار نشر الحرية والديمقراطية ومحاربة "الإرهاب"..

"بوش" لم يتعلم الدرس بعد ضربتين موجعتين فهل يتعلم بعد الضربة الثالثة؟

حصار غزة.. الأهداف الأمنية والأدوات الميدانية

إلى جانب الكثير من الوسائل القمعية الإسرائيلية التي استخدمت ضد قوى المقاومة لمحاولات وقف تمددها، واصلت سلطات الاحتلال قمعها للفلسطينيين غير المرتبطين بأعمال المقاومة بصورة مباشرة.

وقد هدف العسكريون من وراء استخدام الوسائل القمعية إلى تحقيق ما وصفوه بسياسة الردع، وبالتالي أصبح إطلاق النار على المتظاهرين العزل، والاعتقال الإداري بلا تهمة ولا تحقيق، والأحكام العسكرية المبالغ في قسوتها، وهدم بيوت المشتبه فيهم، وفرض حظر التجوال، ومنع الصحافيين من نقل الحقيقة، وتحطيم أبواب المحال التجارية، وإغلاق المؤسسات التعليمية، ودفن الآدميين أحياء، وتحطيم العظام، وخنق المصلين في دور العبادة، والمصابين في المستشفيات بالغاز المسيل للدموع، أساليب مشروعة لتلك السياسة الرادعة، وأخيرا فرض الظلام على غزة ومنع المرضى من العلاج!

كما درج الكيان الصهيوني على منع وصول المواد الغذائية إلى المحاصرين في المناطق العسكرية المغلقة، وإغلاق مداخل المخيمات والقرى وأحياء المدن بالإسمنت المسلح، ومنع أهالي المعتقلين من زيارة أبنائهم، ومداهمة رياض الأطفال وترويع أطفالها، واقتحام المنازل وتكسير أثاثها، ومصادرة أي كمية من "الدولارات" يحوزها أي فلسطيني للاشتباه بأن مصدرها (الجهات المعادية)، وحظر السفر على أبناء قرية أو مخيم بكامله، كل هذا وغيره...جزء من سياسة الردع!

ولعل ذلك ما عبر عنه "مارتين فان كرفيلد"، أستاذ الدراسات العسكرية في الجامعة العبرية، حين دعا إلى توجيه ضربة قاسية للفلسطينيين، فلا جسور مفتوحة، ولا علاقات اقتصادية وسياسية معهم، "يجب أن يكون بيننا وبينهم فصل مطلق على مدار جيل أو جيلين، أو وفقا لما يحتاجه الأمر، لإعادة ميزان الردع، هذه الأمور يجب أن ننفذها بسرعة مطلقة وبقوة ودون أن نتأسف".

وينصح "كرفيلد"، وهو من كبار المتخصصين في الإستراتيجية العسكرية، بضرورة استعمال سلاح المدفعية ضد الفلسطينيين وليس سلاح الجو، لماذا يا ترى؟ لأنه يريد النظر في عيون الفلسطينيين، إذ لا فائدة من هذه الحملة إن لم تبرهن إسرائيل بأعمالها أنها يمكن أن تعمل كل شيء، "علينا أن نضربهم بقسوة وبكل ما بوسعنا حتى لا نعود إلى ذلك، وحتى لا يهاجموننا من الخلف عند خروجنا، علينا أن نضرب بكل قوة وقسوة بحيث لا نحتاج إلى ضربة ثانية، من الأفضل جريمة واحدة وثقيلة نخرج بعدها ونغلق الأبواب من خلفنا!"

ومن الانتهاكات التي اتبعتها سلطات الاحتلال ضد الفلسطينيين غير المرتبطين مباشرة بأعمال المقاومة:

أولا: العقوبات الجماعية، وتشمل:

- فرض حظر التجوال والحصار الكامل على السكان.
- تطبيق سياسة هدم المنازل وتفجيرها، بدعوى إيوائها لمقاومين مطلوبين لسلطات الاحتلال.
- إغلاق المؤسسات الوطنية والنقابات العمالية والمهنية والجمعيات الخيرية.
- أساليب التعذيب المتبعة في أقبية التحقيق، وذهب ضحيتها العديد من الأسرى ممن قضوا ضحايا لها.
- قطع الخطوط الهاتفية وعزل الفلسطينيين عن العالم الخارجي عدة مرات.
- إغلاق وتعطيل الجرائد اليومية والمجلات، وفرض الرقابة الشديدة على المواد الإعلامية.
- الاستيلاء على الأراضي ومصادر المياه، وتجريف البيارات وأشجار الزيتون، وفتح الطرق الواسعة للأغراض العسكرية والمستوطنات.

ثانيا: العقوبات الاقتصادية، وتشمل:

- إغلاق قطاع غزة لعدة أيام متواصلة، وإغلاق كافة المعابر.
- قطع التيار الكهربائي عن القطاع لمدة طويلة بعد ضرب محطات الكهرباء.
- وضع القيود على صادرات القطاع من الخضراوات والفواكه،
- تخفيض قيمة المبالغ المسموح الدخول بها إلى قطاع غزة.
- فرض الضرائب الباهظة على التجار والرسوم الجمركية.
- وضع العراقيل أمام حركة الشاحنات المحملة بالإنتاج الزراعي مما يؤدي إلى إتلافه.

وأما الوسائل المادية التي استخدمها جيش الاحتلال ضد الفلسطينيين غير المقاومين، فكان من بينها: الهراوات من أنواع مختلفة، العيارات النارية، المعدنية والبلاستيكية والمطاطية، قنابل الغاز، وغيرها، ورغم تلك الأشكال المتفاوتة في قسوتها وشدتها المستخدمة ضد الفلسطينيين، إلا أن استمرار الانتفاضة من دون أن يستطيع الجيش الإسرائيلي تحقيق أهدافه، زاد من أسئلة الإسرائيليين وتساؤلاتهم، ومنها:

- هل هناك إمكانية لنجاح الجيش في تنفيذ المهمة التي وصفت بأنها خفض مستوى العنف إلى درجة معقولة؟
- هل لدى الجيش الإمكانيات للعمل بقوة أكبر ضد الانتفاضة، وما الذي يمنعه من القيام بذلك؟
- هل لدى الجيش الاستعداد لإعلان فشله في قمع الانتفاضة، كما درج على إعلان النجاح في تنفيذ المهمة؟
- هل يمكن للوضع أن يستمر فيما هو عليه الآن وقتا طويلا، وماذا ستكون النتائج النهائية؟

إن ذلك الاستعراض لمجمل الانتهاكات التي مارستها قوات الاحتلال، تنم عن حقيقة هامة، وهي أن النفسية الإرهابية لا يمكن أن تتغير بتغيير الأسماء، فتغيير أسماء (الهاغاناة والبالماخ والأرغون واشتيرن) إلى اسم جيش الدفاع "الإسرائيلي"، لا يعني مطلقا أن تركيبتها النفسية والخلقية وموقفها من العرب قد تغير، فأكثر رجالات هذه العصابات وقادتها هم ممن قاد دولة الكيان الصهيوني وجيشها، ويكفي أن نتذكر ما ارتكبه الكيان الصهيوني -وما زالت ارتكبه- ضد الفلسطينيين والمسلمين.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

واقع التعليم الأصيل في المغرب.. تهميش واستهتار
شعبة بدون مقررات دراسية
وأستاذ واحد يدرس ست مواد

إبراهيم بيدون
sabil@hotmail.com
Brahim-as

يعتبر التعليم الأصيل الشكل التعليمي النظامي الوحيد الذي يدرس العلوم الشرعية ويعتبرها مواد أساسية في مقرراته، وهو التعليم الذي كان في المغرب قبل عهد الاحتلال الفرنسي الذي أحدث التعليم العصري ليحارب به النظام التعليمي المغربي الذي كان يولي اهتماما كبيرا لتعليم العلوم الشرعية.

والأصيل والعتيق وصفان ألحقا بالتعليم الإسلامي القرآني، ليضفيا على التعليم المنسوب إليهما بعدا ماضويا قديما لا يواكب التطور الذي عرفه هذا الزمان، لأن التعليم الأصيل لا ينشغل إلا بدين الإسلام والعلوم المتعلقة به، أما التعليم "العتيق" فيرتبط في الغالب بالقرآن وعلومه، فهما إذن لا يخدمان المشروع التنموي الذي سلكه العالم المتقدم قبلنا ونطمح للوصول إليه، فالحل هو تهميشه أمام التعليم العصري الغني بمواده الأدبية والعلمية والتقنية.. والتعليم الخصوصي المرتبط بالأنظمة التعليمية للغرب والذي يربي النشء على القيم الغربية العلمانية.

والقصد من وراء ذلك فصل القرآن والسنة عن مناهج التعليم الرسمية، في خطة لعزلهما عن ممارسات الفرد والمجتمع، لما يحملان -على حد زعم العلمانيين الذين يتولون كبر هذا المكر- من قيم ضد التسامح والتعايش والحوار، ويقيدان حرية الأفراد والأنظمة في الانفتاح على الغرب بكل ما يحمله من قيم حداثية موغلة في المادة، إذا ما أردنا تحقيق الرخاء الاقتصادي والانضمام لمنظومة الدول التي تتمتع بالحريات وتحيى وفق القيم الكونية.

جامعة القرويين والمعاهد الدينية بين حرب التهميش والإلغاء

وتندرج في نفس السياق الحرب الضروس التي خاضها المحتل الفرنسي ضد جامعة القرويين ووقوفه دائما أمام أي إصلاح يمكن أن يؤدي إلى انبعاث روح المقاومة والجهاد عن طريقها، وبعد اندحار الاحتلال على أيدي المجاهدين المغاربة، واصل بقايا فلول المحتل والتي تمثلت في المد الفرانكفوني وعملاؤه هذه الحرب على التعليم الأصيل والعتيق، فبمجرد خروجه عَمَدَت وزارة التعليم إلى محاولة تدمير كيان هذه الجامعة العتيقة والحدِّ من نشاطها العلمي والدعوي، فضلاً عن الإلغاء الفعلي لجامعة ابن يوسف بمراكش والمعهد الإسلامي بتطوان. وأما المعهد الإسلامي بتارودانت فأدمج سنة 1965م في سلك التعليم الرسمي/الأصيل تحت لواء وزارة التربية الوطنية ليعاني وغيره من المدارس والمعاهد الدينية التهميش والنسيان.

وفي هذا الصدد يقول "علال الفاسي" رحمه الله: "إذا استمرت -هذه المحاولات التي تقوم بها الوزارة- فستؤدي لا محالةَ إلى محو هذا التعليم بالمرة، وذلك ما يريده المتآمرونَ عليه من وراء الستار، وهم المستعمرون الذين طالما كتبوا ضد التعليم القرآنيِّ وطالبوا بما ينفذه اليومَ في عهد الاستقلال أناس اندسُّوا في إدارتنا وأخذوا يتآمرون على ديننا وثقافتنا..".

فرغم المجهودات التي بذلها الكثير من العلماء والمصلحين الذين لهم غيرة على العلوم الشرعية لإرجاع قيمة وهيبة جامعة القرويين[1]، والعناية بالتعليم الأصيل -الذي وصل تهميشه حد طلب فصله عن وزارة التربية الوطنية-، بقي التعليم الديني بالمغرب يعاني من التهميش في مقابل صعود نجم المدارس والجامعات العصرية وليدة الاستعمار، لأن المآل الذي يقاد له المغرب هو التنكر لماضيه الديني، ولإخراج أجيال لهم تكوين غربي وليس لهم من الهوية المغربية إلا الانتماء الجغرافي، والمحافظة على التعليم الأصيل ضرورة دينية وهي الكفيلة بالمحافظة على الوجود الإسلامي بالمغرب (انظر كتاب: "مواقف وآراء رابطة علماء المغرب" ص:64/66/68).

ولقد وقف المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب منذ تأسيسها (سنة 1960م) في شخص أمينها الشيخ عبد الله كنون رحمه الله في وجه كل محاولات فرنسة التعليم المغربي وتهميش اللغة العربية وازدواجية اللغة في التعليم الابتدائي، كما أنها اتخذت موقفا حازما بخصوص تدريس الأساتذة الفرنسيين في جامعة القرويين لأن هذه المعاهد الدينية لابد أن تبقى سالمة من الغزو الفرنسي (كتاب: "مواقف وآراء رابطة علماء المغرب" ص:71).

لكن الأمر آل إلى غير ما كان العلماء يناضلون من أجله حيث كانت الغلبة للمد العلماني الذي لم يأل جهدا في حصار التعليم الأصيل وشعبة الدراسات الإسلامية ومادة التربية الإسلامية.

معاناة التعليم الأصيل ومادة التربية الإسلامية

من تجليات هذه المعاناة التهميش الذي يعرفه التعليم الأصيل في المنظومة التربوية وقلة مؤسساته، فأكبر المدن قد تجد فيها مؤسسة واحدة رغم توصيات اجتماع هيئة مديري التعليم الأصلي المنبثقة عن رابطة علماء المغرب المنعقد بمركز الرابطة بالرباط سنة 1962م بخصوص إحداث معاهد أصلية تابعة لجامعة القرويين بالمدن والقرى التي يكثر بها السكان، هذا بالإضافة إلى أن "الميثاق الوطني للتربية والتكوين" لم يخصص لفائدة "التعليم الأصيل" إلا مادة يتيمة من سبعة أسطر تعدُّ مرجعَ تنظيم التعليم الأصيل وتأهيله!، رغم أن أول مادة في الميثاق تنص على أن نظامه يهتدي بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها، كما أن المادة الثانية تنص هي كذلك على أن النظام التربوي قائم على ثوابت ومقدسات يجليها الإيمان بالله، والعقيدة الإسلامية والإيمان بالله يقومان على نصوص القرآن والسنة، فلماذا إذن يتعرض التعليم الأصيل للتهميش، وتحارب شعبة الدراسات الإسلامية، وتضايق مادة التربية الإسلامية؟

وإمعانا في التهميش والحرب ما فتئ العلمانيون يطالبون بإلغاء مادة التربية الإسلامية والتقليل من ساعات تدريسها، واعتماد معامل ضعيف لهذه المادة يوازي معامل التربية البدنية باعتبارها مادة ثانوية، بخلاف الفلسفة فهي تحظى باهتمام كبير من طرف منظري التربية والتكوين لكون الفلسفات المادية هي المؤسس الرئيس للفكر العلماني، وقبل إحداث شعبة الدراسات الإسلامية كان مدرس التربية الإسلامية يتم اختياره من شعب أخرى كشعبة اللغة العربية أو الفلسفة وهو ما يوضح ضعف التكوين الديني عند التلاميذ واستخفافهم بهذه المادة.

الثانوية التأهيلية الفقيه التطواني نموذج للاستهتار بالتعليم الأصيل

تعتبر الثانوية التأهيلية الفقيه التطواني المشهورة باسم "البلاطو" المؤسسة الوحيدة في مدينة سلا التي تدرس شعبة التعليم الأصيل بالإضافة إلى أن بها شعبا أخرى تضم تلاميذ ذوي أخلاق منحطة حيث يشربون السجائر داخل القاعات الدراسية، وفتيات شبه عاريات يلبسن آخر موضات العري، يتهتكن مع فتيان منحلين بباب الثانوية مما يؤثر سلبا على سلوك التلاميذ الملتزمين بتعاليم الدين الإسلامي وقيم الحياء والفضيلة.

إن التهميش الذي يطال شعبة التعليم الأصيل وكذا ضعف أساتذتها يجعل الإقبال على التسجيل فيها ضعيفا، فتلاميذ مستوى السنة الأولى علوم شرعية في المؤسسة المذكورة كلها لا يتعدى عددهم عشرة تلاميذ سبعة ذكور وثلاث فتيات، وهم يعانون من ضعف التدريس الذي يتلقونه من أستاذهم الوحيد المشرف على تدريس كل المواد الشرعية في هذه السنة، وهي مادة التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض والمواقيت، فلماذا لا توفر الوزارة الوصية أستاذا لكل مادة؟ أليس هذا منتهى التهميش والاستهتار بهذه الشعبة؟

ولا يقتصر هذا التهميش والاستهتار على عدم توفير أستاذ لكل مادة وإنما يتعداه إلى غياب تام للمقررات الدراسية وكأن هذه الشعبة ليست كباقي الشعب باستثناء كتاب وحيد في مادة المواقيت (المنار في الفرائض والتوقيت).

فهل يا ترى سيبقى التعليم الأصيل يعاني من التهميش والإلغاء حتى يصل إلى النتيجة الحتمية التي يريدها له بنو علمان المؤيدون بالمواثيق الدولية ويلغى من منظومة الشعب التي تدرس بالمغرب الإسلامي؟

ومتى سيفهم القائمون على الشأن التربوي أن التعليم الديني يحتاجه جميع المغاربة حتى يحافظوا على هويتهم الإسلامية، ويكونون محصنين من أية منظومة أخلاقية جديدة، بدأت تظهر سحائبها في الأفق!؟

---

(1) في أواخر الثمانينيات أمر الملك الحسن الثاني رحمه الله بإعادة الحياة إلى جامع القرويين وإعادة الدراسة به حسب النظام القديم، لكنه لم يعرف تطورا ملموسا.

مقتطف من مذكرة رابطة علماء المغرب بخصوص نتائج سياسة التعليم المفرنسة مقدمة لوزير التربية الوطنية سنة 1978م:

"إن تجربة مناهج التعليم الحالية أدت بالأجيال المغربية الصاعدة إلى التحولات الفكرية التالية:

- الجهل المطلق بالقرآن والسنة والتعاليم الإسلامية.
- الجهل المطلق بتاريخ المغرب والتاريخ الإسلامي الحق.
- عداء وكراهية التراث الإسلامي والقيم الدينية.
- انتشار الإلحاد بسبب برامج الفلسفة المادية الإلحادية.
- اعتناق الماركسية كحل وحيد في نظرها لإنقاذ المغرب من هوة التخلف والاستغلال.
- انهيار الأخلاق العامة وتفكك نظام الأسرة.

هذه هي النتائج التي انتهى إليها المغرب بسبب سياسة التعليم القائمة خلال 22 سنة من الاستقلال سياسة تركها الاستعمار".

(كتاب: "مواقف وآراء رابطة علماء المغرب" ص:78)

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

توضيح المسالك إلى بيان شروط إسقاط حكم الكفر على المعين وموانع ذلك

الحلقة العاشرة

الفصل الثالث

من القواعد المقررة عند أهل السنة أنه من وقع في الكفر جاهلا جهلا **يعذر به ممن ثبت إسلامه** فلا يكفر(1) إلا بعد قيام الحجة عليه.

ومن أدلة ذلك قوله تعالى: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً".

قال الذهبي رحمه الله: "فلا يأثم أحد **إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه**، والله لطيف رؤوف بهم قال تعالى: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً"، وقد كان سادة الصحابة بالحبشة ينزل الواجب والتحريم على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يبلغهم إلا بعد أشهر فهم في تلك الأمور معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص، **وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص** والله أعلم" الكبائر 12.

وقال تعالى: "وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا".

وقال سبحانه: "لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ".

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "**الكتاب والسنة قد دلا على أن الله لا يعذب أحدا إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأسا، ومن بلغه جملة(2) دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية**.

وذلك مثل قوله تعالى: "لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ". وقوله: "وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا"..

فمن قد آمن بالله ورسوله ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول فلم يؤمن به تفصيلا **إما أنه لم يسمعه أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها، أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به**، فهذا قد جعل فيه من الإيمان بالله وبرسوله ما يوجب أن يثيبه الله عليه وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به الحجة التي يكفر مخالفها" الفتاوى 493/12-494.

قال الناظم:

وأنه لا يجب التكليف مع جهل إذ النصوص جاءت تتبع
كقوله (معذبين حتى) و(حجة بعد الرسل) خذ بحتا
وقوله (في أمها رسولا يتلوا عليهم) فاتله مقبولا

التحفة المرضية 629 مع المنحة الرضية للإثيوبي

لا تكليف إلا بعد ورود الشرع

وعليه فلا تكليف إلا بشرع، ولا عقاب إلا بعد إنذار وهو **أمر متفق عليه بين أهل السنة والجماعة**، انظر الجامع لأحكام القرآن 231/10، وتفسير القرآن لابن كثير 27/3، وأضواء البيان 201/2.

ولأجل هذا قرر علماء الأصول "أن حكم الخطاب لا يثبت في حق المكلف **إلا إذا بلغه** وكان **معلوما له**، لأن المقصود من التكليف الامتثال **ولا امتثال مع عدم العلم**" روضة الناظر لابن قدامة 549/1.

وقال الإمام النووي رحمه الله في معرض ذلك: "وهذا جار على ما تقرر في الأصول، **لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح**" شرح مسلم 369/1.

ولذا فـ"الأصل في الأعمال قبل ورود الشرع **سقوط التكليف**" الموافقات 291/4.

ومن ثم فلا تقوم الحجة **بمجرد العقل**(3) **ولا الفطرة والميثاق**(4) **عند أهل السنة والحديث** خلافا للمعتزلة والماتوردية ومن وافقهما(5) على تباين في حقيقة ذلك عندهم ليس هذا محل بسطه. انظر مدارج السالكين 134/1، وأحكام أهل الذمة 525/2-256 كلاهما لابن القيم رحمه الله في آخرين.

وننبه إلى أن **لثبوت** الحجة ركنا آخر إضافة إلى **الشرع** وهو **المكلف**، فلا بد من ثبوت الشرع **وبلوغه**، ولا بد من **وجود المكلف الخالي من الموانع الشرعية التي يسقط بها عنه التكليف**.

قال ابن القيم رحمه الله: "وأما كفر الجهل مع **عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها** فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه **حتى تقوم حجة الرسل**" طريق الهجرتين 611.

التعريف بالحجة لغة واصطلاحا مع ذكر معاني إقامة الحجة عند أهل العلم

الحجة لغة: البرهان، وقيل: الحجة ما دوفع بها الخصم.

وجمعها حُجج وحجاج، وحاجه مُحاجة وحجاجا: نازعه الحجة، حاججت فلانا فحججته أي: غلبته بالحجة. انظر لسان العرب 228/2، ومقاييس اللغة 30/2.

أما في الاصطلاح فقد عرفت بعدة تعريفات، فقد عرفها الجرجاني بقوله: "ما دل على صحة الدعوى وقيل: الحجة والدليل واحد" التعريفات 112.

وقال أبو يعلى: "وأما الحجة فذلك اسم للدليل، ولا فرق بين الدليل من الحجة والبرهان وقيل: اسم لما دلّ على صحة الدعوى، ولهذا سمي بينة المدعي حجته وبرهانه، وليس كل دليل حجة" العدة في أصول الفقه 33/1.

وقال ابن القيم رحمه الله: "**الحجج هي الأدلة العلمية التي يعقلها القلب وتسمع بالآذان**" مفتاح دار السعادة 144/1.

أما "**إقامة الحجة**" فتطلق عند أهل العلم ويراد بها معاني **مختلفة ومتداخلة** ويعرف ذلك بحسب السياق.

فتطلق ويراد بها: "**سرد الحجة، وإسماع الآخر الحجة**".

أو: "**بيان الحجة بمعنى إيضاح دلالة هذه الحجة باللسان الذي يتكلم به المخاطب**" والمراد من هذا الإطلاق أن تكون الحجة **في ذاتها** تدل على المعنى بوضوح بغض النظر عن وضوحها عند الموجهة إليه، فتنبه.

أو يقصد بها: "**إزالة الشبهة إن كان عند المتلقي شبهة**".

والإطلاق الرابع تطلق على: "**فهم الحجة بحسب اللسان**" انظر رسالة "منهج أئمة الدعوة في الدعوة إلى الله" للشيخ صالح بن عبد العزيز الصفحة 81.

فبناء على ما ذكر وما مر معنا من معنى الحجة لغة واصطلاحا يمكن صياغة تعريف نحسبه جامعا مانعا لمعنى إقامة الحجة فيما نحن بصدده وهو: "بيان الأدلة والبراهين التي تبين الحق وتوضحه ولا تترك للمجادل حجة راجحة يتمسك بها ولا شبهة يستدل بها على باطله" أثر العلم في الدعوة إلى الله، مرزوق بن سليم اليوبي 65.

الكتاب والسنة قد دلا على أن الله لا يعذب أحدا إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأسا، ومن بلغه جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية

1- أي: يعذر بجهله -ذاك- وهذا في حكم الدنيا أما في الآخرة فأمره إلى الله تعالى، فقد سئل الشيخ العثيمين رحمه الله عن حكم الجاهل المخالف في المسائل العملية والاعتقادية خاصة مسألة الشرك عند علماء المسلمين؟

فكان جوابه رحمه الله: "**الصواب أن من لم تقم عليه الحجة فهو معذور في حكم الدنيا أما في الآخرة فأمره إلى الله تعالى**.." نقلا عن سعة رحمة رب العالمين 83.

2- وفي هذا الكلام رد على من لا يعذر بالجهل مطلقا باعتبار بلوغ الحجة **العامة الجملة** للناس **عموما** مع أن المسألة المنظور فيها **تفصيلية** تحتاج هي **بذاتها** إلى قيام حجة **خاصة** فتأمل.

3- وهي المسألة المشهورة في كتب العقيدة والأصول بمسألة التحسين والتقبيح العقليين.

4- هذا على القول بالتسوية بين الفطرة والميثاق وإلا فبعض العلماء يفرق بينهما، انظر تفسير ابن كثير 264/2 ومعارج القبول للحكمي 48/1 في آخرين.

5- ويترتب على هذا الخلاف خلاف في **أهل الفترة** (وهم: "كل من كان بين رسولين ولم يكن الأول مرسلا إليهم ولا أدركوا الثاني" جمع الجوامع للمحلي 89/1)، **ومن في حكمهم، في الجهل عند خلو الزمان عن مجتهد** على قول لأهل العلم وإلا فالمسألة محل خلاف مع أن إقحام هذه القضية الأخيرة في هذا المجال محل نظر.

هذا مع التنبه على أن مسألة أهل الفترة هي غير مسألة جهال المسلمين، فالبعض يخلط بينهما ليمهد بذلك عدم العذر لجهال المسلمين فتنبه، فوجه التفريق أن أهل الفترة **كفار في حكم الدنيا، بخلاف جهال المسلمين كما هو واضح**.

انظر سعة رحمة رب العالمين 29 حاشية، والجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه 211.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

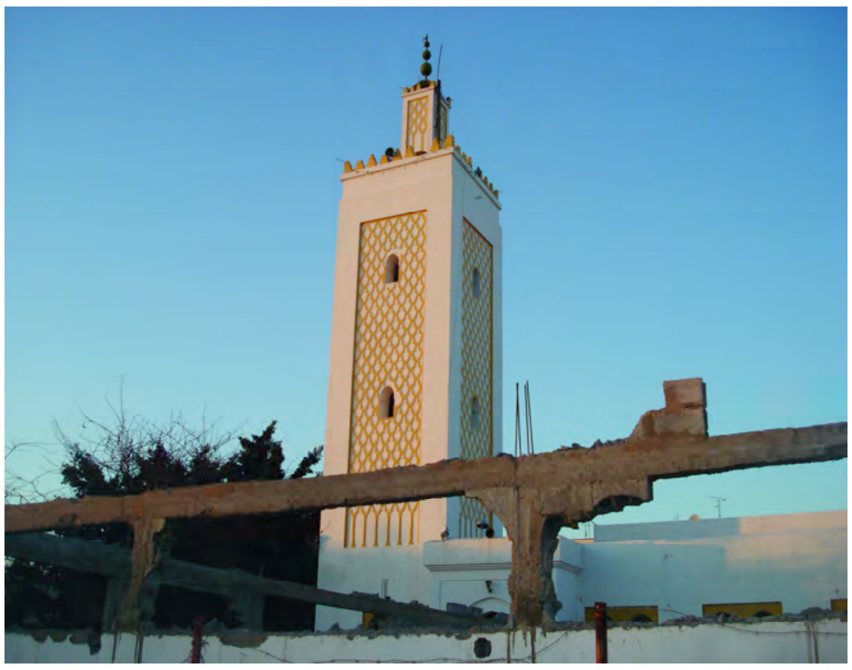
"القانون" المغربي يطال المساجد ويحمي الخمور

إبراهيم الوزاني

وزارة الأوقاف التي تخلت منذ زمن عن بناء المساجد إلا أحيانا واكتفت ببيع وتفويت أوقاف المسلمين، حتى صرنا نرى أغلب مساجد الأحياء عبارة عن أقبية عمارات حديثة، يصلي فيها المسلمون وأصوات المياه الحارة في قنوات التصريف فوق رؤوسهم تختلط بقراءة الإمام أو تكدر سكون وطمأنينة الصلاة السرية

وما تصنعه شركات زنيبر في مكناس من آلاف الليترات من النبيذ فليس لها مستقر إلا في جوف المسلمين، لتترجم بعد ذلك إلى أرقام مفزعة تعبر عن عدد القتلى بسبب الخمور وعدد حالات الاغتصاب وحوادث السير

تعرض في الشهر الأخير مسجد السودان بحي تابريكت بمدينة سلا لهدم زيادة تابعة لفضائه الخارجي قام ببنائها المسئولون عليه، لكون المسجد أمسى ومنذ



زمن طويل يضيق بالمصلين الذين يضطرون إلى الصلاة خارجه، لكن السلطات المحلية وكذا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لم يعيرا اهتماما لحاجيات المصلين ومعاناتهم لسنوات طويلة من برد الشتاء وحر الصيف، وأصرا على تنفيذ القانون المادي الجامد، فقامت بهدم تلك الزيادة رغم قيام المسئولين على المسجد بطلب رخصة لبناء هذه الزيادة الضرورية والتي كان مصيرها الإهمال، ليفاجأ المصلون بأعوان السلطة وهم يهدمونها.

نفس الأمر يهدد مسجد النور بحي شعالة بمدينة الناظور الذي أمر قائد المقاطعة التابعة له الناس وأنذرهم وهو يشير إلى أثاث المسجد قائلا: "ماذا تنتظرون؟ اخلعوا الأبواب والنوافذ، قسموا ووزعوا الأثاث والزرابي بين الناس"، ويشار إلى أن هذا الهدم الذي سيطال المسجد سببه طمع جهات معينة في الاستفادة من أراض شاسعة، يحول وجود المسجد دون استغلالها. ولعل الهدم قد طال الكثير من المساجد في ربوع بلدنا خصوصا بعد أحداث الدار البيضاء بحجة أن هذه المساجد تفرخ المتطرفين، أو ليست تابعة لوزارة الأوقاف التي تخلت منذ زمن عن بناء المساجد إلا أحيانا واكتفت ببيع وتفويت أوقاف المسلمين، حتى صرنا نرى أغلب مساجد الأحياء عبارة عن أقبية عمارات حديثة، يصلي فيها المسلمون وأصوات المياه الحارة في قنوات التصريف فوق رؤوسهم تختلط بقراءة الإمام أو تكدر سكون وطمأنينة الصلاة السرية.. فأين كانت وزارة الأوقاف عند وضع تصاميم التجزئات؟ ولماذا تنزع الملكيات الخاصة لبناء دور الشباب التي لا تهتم إلا بالرقص والموسيقى ويعم فيها الاختلاط والتهتك، بينما لا اهتمام عند الوزارة الوصية على تأمين أماكن الصلاة للمسلمين؟ هل كان من اللازم أن ننتظر كوارث الدار البيضاء حتى تتحرك الوزارة لبناء بعض المساجد درا للرماد في العيون؟

هذا وفي المقابل نرى بيع الخمور قد انتشر في كل مكان وبشكل مخيف، في تواطئ مكشوف بين مروجيها والجهات الأمنية وهذا ما يتضح بين الفينة والأخرى في حالات مثل قضية اللوطي بطل حفل الشواذ بمدينة القصر الكبير الذي راكم ثروة من ترويجه للخمور منذ سنوات طويلة حتى افتضح أمره في قضية الحفل.

ولقد بلغ انتشار الخمر وتعاطيها مستوى صارت تباع للمسلمين جهارا نهارا في المحلات التجارية الممتازة وبترخيص رسمي من طرف الدولة، دون تمييز بين مسلم وكافر، كما ينص على ذلك القانون الأعمى الذي يمنع بيعها للمسلمين، والذي أصبح مجرد ذريعة لترويجها بين أبناء المسلمين إذ لا يخفى على أحد أن المغاربة هم من يستهلك ما تنتجه شركة "براسري" من أصناف خمر الجعة، وما تصنعه شركات زنيبر في مكناس من آلاف الليترات من النبيذ فليس لها مستقر إلا في جوف المسلمين، لتترجم بعد ذلك إلى أرقام مفزعة تعبر عن عدد القتلى بسبب الخمور وعدد حالات الاغتصاب وحوادث السير.



وحتى لا يبقى جوف مسلم لا يصله الخمر تعمد المحلات التجارية الممتازة كمرجان إلى بيع شكولاتة ممزوجة بالكحول، ورغم إشارة هاته المحلات إلى ذلك فإن الأمر لا يرفع المسؤولية عن الجهات المعنية بحماية المستهلك لكون الأمية بإجماع الكل تتفشى بين المغاربة بصورة لا تكفي معها عبارة: "شكولاتة ممزوجة بالكحول".

فأين وزارة الداخلية المسئولة عن أمن المستهلكين والمواطنين؟

وأين وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية من هذه المخالفات الشرعية؟

وأين المجلس العلمي الأعلى؟

وأين رجال الحسبة؟

وإذا كان انتشار شرب الخمر وبيعها والشذوذ الجنسي والزنا والدعارة والعري والفساد لا يحرك هذه الجهات لاتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية هوية المغرب الدينية، فربما سيعرف المغرب في الزمن القريب نظاما أخلاقيا جديدا يطبع مع هذه الظواهر على غرار دول الغرب العلمانية.

وهل الساهرون على تطبيق "القانون" المغربي يهدمون المساجد؟ بينما يسكتون عن بيع الخمور لأبناء المسلمين؟

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

التعصب الممقوت

"التعصب لأمر من الأمور بلا هدى من الله فهو عمل الجاهلية"

من عوامل الاختلاف القاتل، والفرقة المدمرة، والتباغض الذي لا يبقي من الود شيئا التعصب لغير الحق، وهو التعصب الممقوت[1]، الذي يمكن تعريفه بأنه: "**عدم قبول الحق عند ظهور دليله**" قواعد الفقه للبركتي 231.

وهذه الخصلة المذمومة شيمة من شيم الضعف وخلة من خلال الجهل يبتلى بها الإنسان فيعمى بصره وقلبه، فلا يرى حسنا إلا ما حسن في رأيه، ولا صوابا إلا ما ذهب إليه هو أو من تعصب له.

يقول الشوكاني رحمه الله في حسرة مبينا خطر ذلك: "**هاهنا تسكب العبرات، ويناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين، من الترامي بالكفر لا لسنة ولا لقرآن، ولا لبيان من الله ولا لبرهان، بل لما غلت مراحل العصبية في الدين، وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين، لقنهم إلزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء والسراب بقيعة، فيا لله وللمسليمن من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين والرزية التي ما رزئ بمثلها سبيل المؤمنين**" السيل الجرار 584/4.

واعلم أن التعصب لازمه ادعاء العصمة للنفس أو للغير ففيه ما فيه من خطل الرأي، ومجانبة الصواب لأن مُؤَداه أن يصير المُتَعَصب له شارعا لا متشرعا وهو باطل، وما أدى إليه مثله.

قال ابن القيم رحمه الله عند قوله تعالى: "فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" : "**جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتاجرون**" إعلام الموقعين 71.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "والسالك من الفقه والعلم والنظر والكلام إن لم يتابع الشريعة ويعمل بعلمه وإلا كان فاجرا ضالا عن الطريق فهذا هو الأصل الذي يجب إعتماده على كل مسلم، وأما التعصب لأمر من الأمور بلا هدى من الله فهو عمل الجاهلية، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله" الفتاوي 28/11.

وقال بعضهم في وصف أهل الجاهلية:

ثم التعصب لكل ما نمي
إليهم بنسب أو رحم

والتعصب قائم على الجهل والاعتساف وإتباع الهوى والخروج عن الإنصاف.

ولهذا وصف ابن القيم أهل العلم والعدل بكونهم: "زاهدين في التعصب للرجال، واقفين مع الحجة والاستدلال، يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه، إذا بدا لهم الدليل بأخذته طاروا إليه زرافات ووحدانا، وإذا دعاهم الرسول إلى أمر انتدبوا إخراج المتعصب عن زمرة العلماء إليه ولا يسألونه عما قال برهانا" إعلام الموقعين706/1.

وسبيل التعصب الضلال عياذا بالله كما قال تعالي: "وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا".

قال الشوكاني رحمه الله: "والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمتثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم، وفي هذا زجر عن التقليد شديد، وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا والتحذير منه والتنفير عنه ولكن لمن يفهم معنى كلام الله ويقتدي به، وينصف من نفسه، لا لمن هو من جنس الأنعام في سوء الفهم ومزيد البلادة **وشدة التعصب**" فتح القدير.

وقد تكلم العلماء عن جملة من الأسباب التي تحمل المرء وتبعثه على هذا التعصب المقوت ومن ذلك:

1- نشأة المرء في بيئة يتمذهب أهلها بمذهب معين أو تلقوا عن عالم مخصوص فيتعصب ولا ينصف.

2- حب الشرف والمال، ومداهنة أهل الوجاهة والتماس ما عندهم، فيقوي ما يناسبهم فيتعصب لغير الحق.

3- الخوض في الجدال والمراء مع أهل العلم، والتعرض للمناظرات، وطلب الظهور والغلبة، فيقوى تعصبه لما أيده ولا ينصف.

4- الميل لمذهب الأقرباء، والبحث عن الحجج المؤيدة له للمباهاة بعلمهم فيتعصب لخطئهم.

5- الحرج من الناس في الرجوع عن فتوى قيلت ثم تبين بطلانها فيتعصب دفعا للحرج.

6- التعلق بقواعد معينة يصحح ما وافقها ويخطأ ما خالفها، وهي في نفسها محل نظر، فيتعصب بالبناء عليها.

7- التنافس بين المتقاربين في الفضيلة أو المنزلة، قد يدفع أحدهما لتخطئة صواب الآخر تعصبا ومجانبة للإنصاف. انظر آداب الطلب للشوكاني.

فالحذر الحذر من التعصب للأقوال والقائلين إذا لاح لك الحق المبين فالحق أبلج والباطل لجلج (**فإن التعصب مذهب للإخلاص، مزيل لبهجة العلم، معم للحقائق، فاتح باب الحقد والخصام الضار، كما أن الإنصاف هو زينة العلم، وعنوان الإخلاص والنصح والفلاح**) الفتاوى السعدية 459.

1- لأن التعصب للحق والصواب تعصب محمود .

اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم

"الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان"

الإتباع لما جاء في الشرع دون زيادة ولا نقصان هو أصل الأصول، وأساس كل علم وعمل بل هو الدين كله.

قال تعالى: "وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً".

قال الشوكاني رحمه الله: "(وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) من القرآن أي: اتبع الوحي في كل أمورك ولا تتبع شيئا..من الرأي البحت فإن فيما أوحي إليك ما يغنيك عن ذلك وجملة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرا) تعليل لأمره باتباع ما أوحي إليك والأمر له صلى الله عليه وسلم هو لأمته، فهم مأمورون باتباع القرآن كما هو مأمور باتباعه" فتح القدير 370/4.

وفي لسان العرب: "اتبعت الشيء: سرت في إثره، وتبعت القوم: مشيت خلفهم".

فالإتباع شرعا: السير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وطريق أصحابه في كل ما هو دين وشرع دون ابتداع ولا إحداث فإن في الشريعة الغنية والكفاية.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، عليكم بالأمر العتيق**" شرح إعتقاد أهل السنة للالكائي 86/1 والسنن للدارمي 86.

ومعنى قوله: كفيتم: أي: في العقائد والعبادات والمنهاج، وأمر السلوك والأخلاق، بحيث لا يحل الزيادة عليها ولا النقصان منها وذلك لكون الدين قد تم وكمل كما قال تعالي: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً".

قال ابن كثير عند هذه الآية: "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف" تفسيره 192.

وقال الشاطبي رحمه الله: "**الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان**" الاعتصام 49/1.

ومن تم فإنما اشتغلت قلوب طوائف من الناس بأنواع من العبادات المبتدعة -إما من الأدعية، وإما من الأشعار، وإما من السماعات ونحو ذلك- لإعراضهم عن المشروع أو بعضه، أعني: لإعراض قلوبهم وإن قاموا بصورة المشروع وإلا فمن أقبل على الصلوات الخمس -مثلا- بوجهه وقلبه عاقلا لما اشتملت عليه من الكلم الطيب والعمل الصالح مهتما بها كل الاهتمام أغنته عن كل ما يتوهم فيه خير من جنسها.

ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بعقله وتدبره بقلبه وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام: لا منظومه ولا منثوره.

ومن اعتاد الدعاء المشروع في أوقاته كالأسحار وأدبار الصلوات ونحو ذلك أغناه عن كل دعاء مبتدع في ذاته أو بعض صفاته.

فعلى العاقل أن يجتهد في اتباع السنة في كل شيء من ذلك، ويعتاض عن كل ما يظن من البدع أنه خير بنوعه من السنن، فإنه من يتحرَّ الخير يعطه، ومن توق الشر يوقه.

فالله الله في السير وفق ما جاءت به الشريعة حذو القذة بالقذة فإن ديننا دين اتباع لا دين رأي وابتداع، ومما يوضح ذلك ويمثل قمته قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحجر الأسود: "**والله إني لأعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك**" أخرجه البخاري وغيره.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "**وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه**" الفتح 462/3.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

التنبيه على أهمية الاعتناء بالدليل مع فهمه والتفقه فيه

"التفقه في معاني الحديث نصف العلم"

رشيد مومن الإدريسي

من المقرر في الشريعة الغراء، ومن المعلوم عند العلماء أن ديننا دين حجة واتباع، لا دين رأي وابتداع، مما يجب معه الاعتناء عند معرفة الأحكام الشرعية بالدليل والبرهان، والحذر من المشي وراء الهوى وما يجول في الأذهان.

قال الله تعالى: "أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً، وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ".

قال السعدي رحمه الله في تفسيره للآية: "أي: قل يا أيها الرسول (أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً) أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص والعيب والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكما فهو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر. (الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً): أي: موضحا فيه الحلال والحرام والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكما ولا أقوم قيلا، لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة..". (تيسير الكريم الرحمن).

وفي الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسوله".

قال المناوي رحمه الله تعالى: "أنهما - الكتاب والسنة- الأصلان اللذان لا عدول عنهما ولا هدى إلا منهما، والعصمة والنجاة لمن تمسك بهما واعتصم بحبلهما وهما الفرقان الواضح والبرهان اللائح بين المحق إذا اقتفاهما والمبطل إذا خلاهما، فوجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة متعين معلوم من الدين بالضرورة، لكن القرآن يحصل به العلم القطعي يقينا وفي السنة تفصيل معروف". (فيض القدير 240/3).

قيام مذاهب الأئمة الأربعة على الأخذ بالكتاب والسنة

قامت مذاهب الفقهاء والعلماء ومنهم الأئمة الأربعة على الأخذ بالدليل والبرهان، ونبذ كل ما خالف ذلك.

قال السبكي -رحمه الله:- "وكلهم مشتركون في أنه متى جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث، فواجب المصير إليه" (معنى قول الإمام المطلبي 58).

وقال الصنعاني رحمه الله: "**وأما الأئمة الأربعة فإن كلا منهم مصرح بأنه لا يقدم قوله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم**" (إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد 14).

وقال رحمه الله كذلك ناظما:

علام جعلتُم أيها الناس ديننَا
لأربعة لاشكَّ في فضلِهم عندي
هم علماءُ الدِّين شرقا وغربا
ونورُ عيون الفضل والحقِّ والزهد
ولكنهم كالناس، ليس كلامهُم
دليلا ولا تقليدهم في غدٍ يُجدي
ولا زَعَموا حاشاهُم أن قولهم
دليل فيستهدي به كل من يَهدي
بل صرحوا أنا نقابل قولهم
إذا خالف المنصوص بالقدح والرد

ولأجله انتقد حافظ المغرب الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى بعض الفقهاء الذين يلتزمون المسائل المجردة عن الدليل (والقصد بهذا ما طغى على بعض كتب الفقه المتأخرة من ذكر الفروع عارية عن أدلتها ومأخذها وهو المسمى **بمنهج التجريد**)، فقال عنهم أنهم: "طرحوا علم السنن والآثار وزهدوا فيها، وأضربوا عنها، فلم يعرفوا الإجماع من الاختلاف، بل عولوا على حفظ ما دون لهم من الرأي والاستحسان الذي كان عند العلماء آخر العلم والبيان، وكان الأئمة يبكون على ما سلف وسبق لهم فيه، ويودون أن حظهم السلامة منه" (جامع بيان العلم 170/2).

الاعتناء بفهم الدليل

لكن مما غفل عنه بعض الناس في هذا الصدد -مع حرصهم على الحجة والدليل- **عدم اعتنائهم بفهم الدليل والتفقه في المراد منه شرعا**، فتجد الواحد منهم يحتج عليك بالدليل دون دراية ولا فقه فيه، وهذه مزلة قدم.

فإن الأدلة الشرعية هي المستند لوضع الأحكام وعليه فإذا كان وجه الاستدلال غير صحيح منها، كان ما يترتب عليها من الأحكام وما يتفرع عنها أشبه ما يكون بقوله تعالى: "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" التوبة.

قال ابن القيم رحمه الله: "تجريد المتابعة (أي: للنبي عليه الصلاة والسلام) أن لا تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائنا من كان بل **تنظر في صحة الحديث** أولا فإذا صح لك **نظرت في معناه ثانيا**" الروح 264.

وعليه كما يجب الاعتناء بالدليل بعد توثيقه والتثبت منه لا بد من الاعتناء بفهمه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فإن الاستدلال بكلام الشارع يتوقف على أن يعرف **ثبوت اللفظ عنه** وعلى أن يعرف **مراده باللفظ**" الفتاوى الكبرى 463/1.

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: "الذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم **ذم الإكثار دون تفقه ولا تدبر**" جامع بيان العلم 124/2.

و"الفهم معرفتك الشيء بالقلب، فهمه فهْمًا وفهَمًا.. وفهمت الشيء عقلته وعرفته، وفهمت فلانا وأفهمته وتفهم الكلام فهمه شيئا بعد شيء" لسان العرب 459/12.

وحقيقة ذلك الفقه والتفقه.

قال ابن بطة رحمه الله: "فأما الفقه في اللسان الفصيح فمعناه الفهم، تقول فلان لا يفقه قولي أي: لا يفهم، قال الله تعالى: "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" أي: لا تفهمون، وقوله تعالى: "لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ" أي: لتفهموه، فيكونوا علماء به، ومن ذلك قولهم: فلان لا يفقه ولا ينقه، معناه لا يفقه ولا يعلم" إبطال الحيل 6.

ومن ثم كان إطلاق الفقيه في لغة الحديث والسلف الصالح واسع يقع على العالم بالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة.

قال الفلاني رحمه الله: "اسم الفقيه عند السلف.. **إنما يقع على من علم الكتاب والسنة وآثار الصحابة ومن بعدهم من علماء الأمة**" إيقاظ همم أولي الأبصار 28.

ولذا فالأمر كما قال ابن الجوزي رحمه الله: "**كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث**" تلبيس إبليس 127 منتقاه.

والقصد أنه لم يكن هناك **فصام** بين الفقه والحديث، والدراية والرواية.

قال الخطابي رحمه الله: "رأيت أهل العلم في زماننا قد حصلوا حزبين، وانقسموا إلى فرقتين: أصحاب حديث وأثر، وأهل فقه ونظر، **كل واحد منها لا تتميز عن أختها في الحاجة، ولا تستغني عنها في درك ما تنحوه في البغية والإرادة، لأن الحديث بمنزلة الأساس الذي هو الأصل، والفقه بمنزلة البناء الذي هو له كالفرع، وكل بناء لم يوضع على قاعدة وأساس فهو منهار، وكل أساس خلا عن بناء وعمارة فهو قفر وخراب**" معالم السنن 31.

فالله الله في الاعتناء بفهم الدليل فإنه من أركان مبدأ العلم والغفلة عنه سبيل للضلال والإضلال.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "**العلم له مبدأ وهو قوة العقل الذي هو الحفظ والفهم**" الاقتضاء 160.

وفي ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله 427/2 "قال ابن وهب: لو لا أن الله أنقذني بمالك والليث لضللت، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: أكثرت من الحديث فحيرني، فكنت أعرض ذلك على مالك والليث فيقولان لي: خذ هذا، ودع هذا".

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "معرفة معاني الحديث وتفسيره أشد من حفظه" الآداب الشرعية 119/2.

وقال علي بن المديني رحمه الله: "**التفقه في معاني الحديث نصف العلم**، ومعرفة الرجال نصف العلم" مقدمة تهذيب الكمال 165/1.

إذن فمما لا بد منه في مسالك الفقه والتفقه -للخلوص لحكم شرعي صحيح- **الاعتناء بفهم الأدلة الشرعية والحذر من الاكتفاء عند الاحتجاج بمجرد التجمل بالدليل، ورفع شعاره دون فقه فيه، ولا مراعاة للمقاصد الشرعية، والقواعد المرعية، وضبط ذلك بفهم سلف الأمة، مع الحرص على جمع الأدلة في الباب، فـ"الإعمال خير من الإهمال"** فحقيقة الدليل في المسألة جمع أطرافها، كما قال الشاطبي رحمه الله في الموافقات 90/3 "**فالعام مع خاصه هو الدليل**".

والله الهادي إلى سواء السبيل

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

حكم قراءة الحائض للقرآن ومسها للمصحف

حمّاد القباج

من الأسئلة التي تشغل بال المؤمنات، وتتردد على ألسنة الكثيرات: هل يجوز للمرأة الحائض أن تقرأ القرآن وتمس المصحف؟

وهو سؤال مهم؛ لارتباطه بعبادة جليلة، ألا وهي: تلاوة القرآن، التي قال فيها ربنا سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ، لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}** [فاطر].

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأجر بقوله: "**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ لا أقول: {ألم} حرف، ولكن: ألف حرف و لام حرف و ميم حرف**". [صحيح الجامع]..

والظاهر أن الراجح من قولي العلماء؛ أنه يجوز للمرأة الحائض أن تقرأ القرآن وتمس المصحف، للبراءة الأصلية وظواهر بعض النصوص:

فالأصل هو الجواز، وبراءة الذمة من التكليف، وهو مستصحب حتى يثبت دليل ناقل عن الأصل، ولم يثبت في مسألتنا دليل ناقل:

وأما قوله تعالى: **{لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}** فلا يصح الاستدلال به علي أن الحائض لا يجوز لها مس المصحف لأمرين اثنين:

- أما الأمر الأول؛ فهو سبب نزول هذه الآية؛ وسياقها قوله تعالى: **{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}**.

فقد ذكر العلماء في أسباب النزول أن هذه الآيات نزلت في المشركين الذين قالوا بأن هذا القرآن تأتي به الشياطين! وأن النبي صلى الله عليه وسلم ممسوس، تأتيه الشياطين بهذا الكلام! فنزلت في ذلك آيتان:

الأولى: قوله تعالى: **{وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ}**، والثانية قوله سبحانه: **{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}**.

فبين التنزيل الحكيم؛ أن القرآن نزلت به الملائكة، ولا يمكن أن تمسه الشياطين.

> من الأسئلة التي تشغل بال المؤمنات، وتتردد على ألسنة الكثيرات: هل يجوز للمرأة الحائض أن تقرأ القرآن وتمس المصحف؟

وبه يظهر أنه لا علاقة للآية بالحكم الشرعي الذي نتحدث عنه.

- وأما الأمر الثاني الذي يمنعنا من الاستدلال بهذا النص على منع الحائض من مس المصحف؛ فهو لفظ "المطهرون"؛ فهذا لفظ يوحي بأن الطهارة ليست مكتسبة؛ أي ليست من فعل هؤلاء الذين تتحدث عنهم الآية، بل إنهم مطهرون خلقة؛ والموصوفون بذلك هم الملائكة؛ فهم خلق طهرهم الله وزكاهم وعصمهم، وهؤلاء هم الذين يتنزلون بالقرآن.

وبه يظهر التقاء هذا الوجه مع سابقه.

وأما حديث: "**لا يمس القرآن إلا طاهر**"؛ فهو حديث صحيح؛ رواه مالك في الموطأ مرسلا ووصله غيره، فهو ثابت من حيث الرواية.

ولكن يناقش من حيث الدراية والفقه؛ وذلك أن قول عليه السلام: "طاهر" لفظ مشترك، واللفظ المشترك هو الذي يرد إطلاقه على معنيين أو أكثر.

> وإنما ثبت الدليل **باستحباب** التطهر للتلاوة؛ وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "**إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر**" [رواه مسلم].
> وتلاوة القرآن من ذكر الله؛ فهي مكروهة بغير طهارة.

وهذا اللفظ يحتمل أربعة معاني :

- يمكن أن يطلق على الطاهر من الحدث الأكبر.
- ويمكن أن يطلق على الطاهر من الحدث الأصغر.
- ويمكن أن يطلق على المؤمن.
- ويمكن أن يطلق على من ليس على بدنه نجاسة.

ولا بد لحمله على معنى معين من قرينة؛ وقد قامت قرينتان على حمله على المعنى الثالث؛ وهو المؤمن:

- **القرينة الأولى: السياق**

عن عبد الله بن بكر رضي الله عنه: "أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ألا يمس القرآن إلا طاهر".

وعمرو بن حزم هذا هو عمرو بن زيد الخزرجي النجاري يكنى أبا الضحاك، قال الصنعاني: "استعمله صلى الله عليه وسلم على نجران وهو ابن سبعة عشر سنة ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم وكتب لهم كتابا فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات".

فعمرو بن حزم شاب فقيه أرسله النبي عليه السلام إلى من أسلم من أهل نجران؛ ليعلمهم ويفقههم، ولما أرسله قال له: "**لا يمس القرآن إلا طاهر**"، أي: المؤمنون، أما المشركون فلا يمكنون من مس المصحف،

> ليس ثمة دليل على منع المرأة الحائض من مس القرآن وتلاوته، وإلزامها بالتطهر لذلك، فالأصل جواز المس والتلاوة، وبراءة الذمة من وجوب التطهر

فهذا الحديث يلتقي في فقهه مع الحديث الآخر في نهيه عليه السلام عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو.

وأما **القرينة الثانية** التي تدل على حمل لفظ الطاهر على معناه الثالث؛ ألا وهو المؤمن دون سائر المعاني الثلاثة الأخرى؛ فهو قوله عليه السلام: "**المؤمن لا ينجس**" [متفق عليه]؛ فالمؤمن إذن: طاهر.

وأما حديث علي رضي الله عنه قال: "**رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قرأ شيئا من القرآن، ثم قال: هكذا لمن ليس بجنب، فأما الجنب فلا ولا آية**"؛ فحديث ضعيف: علته: أن في سنده راوية اسمها: جسرة بنت دجاجة، قال فيها البخاري: لها عجائب.

فلا يشرع الاستدلال به، بقياس الحائض على الجنب.

وبما تقدم يظهر أنه ليس ثمة دليل على منع المرأة الحائض من مس القرآن وتلاوته، وإلزامها بالتطهر لذلك، فالأصل جواز المس والتلاوة، وبراءة الذمة من وجوب التطهر.

ومما يؤكد استصحاب الأصل في هذه المسألة؛ ظواهر بعض النصوص:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "قدمت مكة وأنا حائض فلم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "**افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت ولا بين الصفا والمروة حتى تطهري**" [رواه مالك في الموطأ وهو متفق عليه].

فقوله صلى الله عليه وسلم: "ما" بمعنى الذي، والأسماء الموصولة من صيغ العموم كما تقرر في علم الأصول.

فيشرع للحائض فعل كل عبادة، بما في ذلك تلاوة القرآن.

ثم استثنى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك: الطواف؛ بالمخصص المتصل، وخصص بالمخصص المنفصل: الصلاة والصيام والجماع.

فبقيت قراءة القرآن داخلة في عموم قوله عليه السلام: "**افعلي ما يفعل الحاج**"؛ ولا شك أن الحاج يقرأ القرآن.

وإنما ثبت الدليل **باستحباب** التطهر للتلاوة؛ وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "**إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر**" [رواه مسلم].

وتلاوة القرآن من ذكر الله؛ فهي مكروهة بغير طهارة.

والله تعالى أعلم.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

الإيمان بالله تعالى وأثره على المرأة

عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: "يرحم الله نساء المهاجرات الأُوّل؛ لما أنزل الله عز وجل: **{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}**، شققن مروطهن فاختمرن به". [رواه البخاري].

وفي رواية عن صفية بنت شيبة قالت: "ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار؛ أشد تصديقا بكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل: لقد أنزلت سورة النور؛ **{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}**، فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رءوسهن الغربان".

..لقد طغت المبادئ المادية على حياتنا، وكان مما أفرزه ذلك الطغيان -في مجال الدعوات والتحركات التنموية والإصلاحية-؛ غياب البعد الإيماني في أكثرها، وقد بدا هذا الأمر جليا في مبادئ ودعوة (الحركة النسوية التحررية) في بلدنا وسائر البلاد الإسلامية.

فالمتتبع لأنشطتها؛ يلاحظ إقصاءها لدور الإيمان في حياة المرأة، وعملها الإصلاحي والتنموي، مع المبالغة في اعتبارها لعوامل أخرى تقل أهمية بكثير، مثل: الثقافة والكفاءات العلمية والخبرات التقنية والمهنية والرتبة الوظيفية والمشاركة السياسية.. إلخ.

وبقدر ما نستنكر هذا الجفاء والجفاف الإيماني، فإننا لا نستغربه إذا تذكرنا خلفيات ومنطلقات وقناعات هذا التيار الغريب عن ديننا وهويتنا وثقافتنا، والذي زرع في جسد أمتنا من أجل إصلاح مزعوم، فكان -على العكس من ذلك- سببا لعلل وأدواء رانت على واقعنا، فأخرت الإصلاح ولم تحقق التنمية المنشودة.

ولنرجع بعد هذا؛ إلى الأثر الذي صدّرْتُ به مقالتي هذه؛ ولنتأمل منه قول عائشة في وصف نساء الأنصار: "أشد تصديقا بكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل".

ثم فسرت ذلك -ممثِّلة- بواقعة أعقبت تشريع الحجاب:

"لقد أنزلت سورة النور؛ **{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}**، فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها، فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رءوسهن الغربان".

إن الإيمان بالله معناه: الإقرار والتصديق بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وما يستلزمه من الإيمان بيوم لقائه والعرض عليه، بناءً على ما تأسس عليه ذلكم الإقرار ولوازمه من الأدلة النقلية والعقلية والأصول الفطرية المورثة لليقين.

وهذا الإيمان هو الذي حمل المؤمنات الأُوَّل على المبادرة إلى تلك الطاعة، ولو لم يتوفرن على مال يمكنهن من ذلكم البدار.

والمرط: الإزار؛ وهو ثوب أكبر من الأثواب التي كانت تغطي بها النساء رؤوسهن، وكانت هذه التغطية قاصرة؛ فأمر الله تعالى بإكمالها:

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: "«**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**»؛ يعمل لها صفات ضاربات على صدورهن لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها، ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية؛ فإنهن لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها، وذوائب شعرها، وأقرطة آذانها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن". [تفسير القرآن العظيم (288/3)].

ولما لم تجد المؤمنات ثوبا يمتثلن به الأمر؛ شققن الأزر من قبل الحواشي، واتخذن من ذلك خمُرا.

وإذا كان هذا أثر الإيمان عليهن، فإن ضعف الإيمان أدى بالكثيرات من نسائنا إلى التهاون في هذا الحكم، كما أن غيابه حمل أخريات على إنكاره وحربه!

وهذا يؤكد أن الخطاب الدعوي ينبغي أن يتأسس على قضية الإيمان بالله سبحانه، وأن الخلاف بين دعاة الإسلام ودعاة ما يضاده، لا يرتفع ما دام الخلاف قائما في تلكم القضية..

إن الإيمان بالله تعالى له أثر كبير في سلوك المرأة واختياراتها، ومواقفها المختلفة التي تلعب -هي بدورها- دورا أساسيا في إصلاح المجتمع.

والسر في ذلك؛ أن الإيمان بالله عز وجل يورث المرأة الشعور القوي برقابة الله عليها واطلاعه سبحانه وتعالى على كل أحوالها:

قال سبحانه:**{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}** [يونس 61].

وقال عز وجل: **{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** [الشعراء].

وهذا الشعور أعمق بكثير وأقوى أثرا، من ضمير تلعب به الأهواء، وتصبغه بصبغتها، فلا يؤدي دور ذلكم الشعور، ولا يقارب.

فإذا استحكم هذا الأخير في النفس؛ انقلب إلى عمل وسلوك، وظهرت آثاره في محيط المرأة الأسري والاجتماعي.

آثاره على الأولاد، وآثاره في معاملة الزوج، وآثاره في معاملة سائر الأقارب.

ثم آثاره في نطاق أوسع؛ يبدأ بالجار القريب، ويصل إلى من شاء الله من أفراد المجتمع.

وهكذا فإن الإيمان بالله يمنع المرأة من الزج بأولادها في أوحال الهلكة، التي تجعلهم يخربون أمتهم بأيديهم، بل يحملها على أن تجعل منهم صناع مجد وأدوات بناء تكسب الأمة قوة وعزة وصلاح حال.

والإيمان بالله يمنع المرأة من النشوز على زوجها، بل يحملها على طاعته في المعروف، والتعاون معه على خير الأسرة وصلاحها.

والإيمان بالله يمنع المرأة من أذية الجار بقول أو فعل، أو أذية المجتمع بفتنة أو إغواء، أو أذية من أي جنس كانت.

.. إن الإيمان بالله يجعل المرأة تحمل هم أمتها؛ تفرح لعزها وسؤددها، وتحزن لضعفها وهوانها، فسرعان ما يتحول هذا الشعور إلى سعي حثيث من أجل تغيير الوضع المحزن، وإقامة الوضع المفرح.

وذلك كله سجله التاريخ للمرأة العربية لَمّا مس الإيمان شغاف قلبها، فانقلبت من سلعة رخيصة مبذولة، وإنسان مهمش موؤد، إلى مُصلحة اجتماعية، ومسهمة في بناء حضارة شامخة، ذات أصول راسخة.

إن الإيمان بالله يدفع المرأة إلى طاعة خالقها، وخدمة دينه، والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل ذلك.

وقد أعطت الصحابيات رضي الله عنهن المثال الرائع لذلك؛ بمواقف منها ذاك الذي ندير عليه رحى هذه المقالة.

وها هي ذي أم عمارة تعطينا مثالا آخر:

عن أم سعيد بنت سعد بن ربيع: "دخلت على أم عمارة فقلت:حدثيني خبرك يوم أحد.

قالت: خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله **فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراح.**

قالت: فرأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف.

فقلت: يا أم عمارة من أصابك بهذا؟

قالت أقبل بن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله يصيح دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، **فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان..**

وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا، وكانت تقول إني لأنظر إلى بن قميئة وهو يضربها على عاتقها، وكان أعظم جراحها، فداوته سنة، ثم نادى منادي رسول الله إلى حمراء الأسد، فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله من الحمراء ما وصل رسول الله إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسرّ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم". [رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى 8/ 413].

إن ذانك الموقفان العظيمان -ومثلهما كثير-؛ لم يكونا ليتحققا لولا إيمان رسخت جذوره في أعماق القلب، فشكل الأساس لشجرة وفيرة الثمار، وافرة الظلال، تتفيأ الأمة ظلالها، وتجني ثمارها..

والله الموعد.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

من أسباب الثبات على الاستقامة (تتمة)
"من عرف ما يَطْلُب هانَ عليه ما يَبْذُل"

محمد أبوالفتح

"وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً" النساء140

من أعظم نعم الله تعالى على العبد أن يوفقه للاستقامة وأن يعينه على الثبات عليها حتى يلقاه، وقد جعل الله تعالى لكل شيء سببا، فمن أراد الثبات على الاستقامة فعليه أن يأتي بالأسباب المعينة على ذلك، وقد تقدم معنا في مقال سابق ذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر، ومنها أيضا:

1- مصاحبة الأخيار:

لا شك أن مصاحبة الأخيار من أهل الاستقامة يزيد العبد ثباتا على دينه، فهم عبير الزمان ومسكه، وهم عسل الحياة الدنيا وشَهْدُها، بقية السلف الأخيار، إن نسيت ذكروك، وإذا اعوججت أقاموك؛ وإن ذكرت أعانوك، وإذا ضعفت عن الخير عضدوك وآزروك، وأقل ما يقال فيهم أنهم إن لم ينفعوك لم يضروك، فاعرف لهم قدرهم، والْزَمْ غَرْزَهُم، فإنهم على ما فيهم صفوة أهل الزمان، وإذا فرطت فيهم لم تجد خيرا منهم ولا عوضا عنهم، وعلى رأسهم أهل العلم من أهل السنة والدعاة المصلحون، فهم كالأنجم يَهتدي بها السائر إلى الله في دياجير الليل البهيم، وكأعلام عليها نار يسترشد بها الحيران في ظلمات الشهوات والشبهات، "ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ" (النور40)، فإن أعلَّتك شبهة وجدت عندهم الشفاء والدواء، وإن استهوتك ضلالة أخذوا بيدك إلى بر السلامة والأمان، كما قال الله تعالى في الصحابة الكرام حين ضرب لهم مثلا في الإنجيل: ".. وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً" (الفتح29).

قال السعدي: "أي: أخرج (يعني الزرع) أفرخه، فوازرته في الثبات والاستواء، "فاستغلظ" ذلك الزرع أي: قوي وغلظ، "فَاسْتَوَى" أي: قوي واستقام.. كذلك الصحابة.. هم كالزرع في نفعهم للخلق، واحتياج الناس إليهم، **وكون الصغير والمتأخر إسلامه قد لحق بالكبير السابق، ووازره وعاونه على ما هو عليه من إقامة دين الله والدعوة إليه ،كالزرع الذي أخرج شطأه فآزره..".**

فالجماعة تزيد الفرد ثباتا، والفرد تتقوى به الجماعة؛ لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد، من أراد بُحبوحة الجنة فليلزم الجماعة" (صححه الترمذي والألباني، والبحبوحة بضم الباء الوسط).

2- مجانبة الأشرار

فهؤلاء بعكس الذين سبقوهم، إن نسيت لم يذكروك، وإن ذكرت خذَّلوك ولم يعينوك، فهم جنود لإبليس وإن كانوا لا يعلمون، وأحسن ما يقال فيهم أنهم إن لم يضروك لم ينفعوك؛ فهم كما قال الله تعالى في المنافقين: "الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" التوبة67؛ لذلك نهانا الله تعالى عن مصاحبة مثل هؤلاء فقال: "وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً" النساء140، ونهانا تبارك وتعالى عن اتخاذ بطانة من غير المؤمنين فقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ" آل عمران118، وفي هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي" (حسنه الألباني في صحيح الجامع)، وقال عليه الصلاة والسلام: "الرجل على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل" (حسنه الألباني في صحيح الجامع)، وذلك لأن خلائق السفهاء تعدي، ولأن الصاحب ساحب، إما إلى خير وإما إلى شر.

ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم للجليس الصالح والجليس السوء مثلا فقال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء: كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة" (متفق عليه)، فالحديث دليل على أن الجليس الصالح لا بد أن تنتفعه منه بقليل أو بكثير، وأن الجليس السوء لا بد أن تتضرر منه بقليل أو بكثير، فاختر لنفسك أعجب الجليسين إليك، وصاحب من شئت منهما تَحْظَ بنَوَالِه.

قال الحافظ ابن حجر: "في الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما" (الفتح324/4).

ولله دَرِ من قال ناصحا:

مَنْ لم تُجَانِسْ فَاحْذَرْ أَنْ تُجَالِسَهُ
مَا ضَرَّ بِالشَّمْعِ إِلاَّ صُحْبَةُ الفتلِ

ولهذا تواتر عن السلف التحذير من مخالطة أهل البدع ومجالستهم، فجاء عن الحسن البصري أنه قال: "لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلوب"، وعن أبي قلابة قال: "لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم؛ فإنكم إن لم تدخلوا فيما دخلوا فيه، لبسوا عليكم ما تعرفون".

3- ذكر الموت:

ذكر الموت شفاء من الشهوات، يطفئها كما يطفئ الماء النار، والشهوات هي سبب افتتان وعدم ثبات كثير من الناس، كما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" (متفق عليه)؛ ولذلك أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكر الموت فقال: "أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت؛ فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه" (حسنه الألباني في صحيح الجامع، الهذم بالذال المعجمة: القطع بسرعة)، ووعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عمر فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل" (أخرجه البخاري)، فالموت مصيرنا جميعا، أحببنا أم كرهنا، وحالنا معه عجيب، فنحن نستبعد حُلوله، ونُسَلِّي أنفسنا عنه، مع أنه أقرب شيء إلينا، وليس بيننا وبينه إلا أدنى الأسباب، بل ربما جاء بدون سبب، كما قال أبو بكر رضي الله عنه :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْـلِهِ
وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

فمن أكثر من ذكر الموت كان له نِعم الواعظ، وكان أعظم أثرا عليه من الخطب الطويلة والمواعظ البليغة.

4- ذكر الجنة والنار

فإن العبد إذا ذكر الجنة، وما أعده الله فيها لعباده الصالحين، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وذكر النار وما أعده الله فيها لأهلها من ألوان العذاب وصنوف النكال، وعرف قرب الأجل ودنو الرحيل، سَهُلَ عليه صبر ساعة وإن كان قابضا على جمرة، فَيَكْتُمُ أنفاسه، ويدخل مضمار السباق وإن كان مجيئه بأَخَرَة، ليس طمعا في السبق؛ فإن من القوم من أدرك الغاية وحط رحاله في الدرجات العلى من الجنة، ولكن يطمع في القرب منهم وأن يجعل الله معهم بمَنِّه وكرمه وبحبه إياهم وسيره على طريقهم، ومن عرف ما يَطْلُب هَانَ عليه ما يَبْذُل، قال صلى الله عليه وسلم: "ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها" (حسنه الألباني في صحيح الجامع).

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

مهلا أهل التغريب.. كفى من دعاوى الخلط والتقريب

عبد المغيث موحد

لا يعزب عن البال ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه، وذلك غالبا ما يكون في باب الآداب لُماما ما يكون في باب الأحكام، والأمر يحتاج إلى تفصيل ليس هذا باب ذكره، ولكن يهمنا كثيرا الإشارة إلى أن معشر الأصوليين وهم يؤصلون لهذه القاعدة الهامة في معرض كلامهم عن أدلة الأحكام لم يكونوا ليجعلوا في مقابل شرع ما قبلنا شريعة عقيدتها عقيدة التثليث، عقيدة ملؤها الخرافات والأباطيل التي أخمد الإسلام نارها حينا من الدهر وجعلها حبيسة محتجرة في نحور المتشدقين بها..

فما بال أقوام يسعون اليوم والأمس قبله كل السعي غايتهم تحقيق نظرية الخلط بين الإسلام وبين ما عليه الآخر من دين محرف منسوخ، حاملين شارات وشعارات من قبيل نبذ التعصب الديني باسم الإيخاء والاعتدال تارة، وباسم التضامن الإسلامي "المسيحي" ضد المد الشيوعي الملحد الكافر تارة أخرى.

مشروع تذويب عقيدة المسلمين في حوجلة إفك الأفاكين

في الوقت الذي يجري فيه صريف الأقلام الصادقة الغيورة لصد عاديات التغريب المذموم وموريات التقريب المشؤوم، وفي الوقت الذي تعلو فيه أصوات الشرفاء من أهل العلم والولاية منبهين من هذا النزع العنيف، محذرين من هذه الفراهة الوقحة، نجد أن فسطاطا من بني الجلدة وما إن وطئت حوافر هذه الشعارات الجوفاء جغرافية هلالنا حتى تزينت بها أفواههم، وركبت صهوة علجها أحلامهم، فخدمتها الأقلام، ونبست بنصرتها الأفهام، بل وأقسموا جهد أيمانهم وليا بألسنتهم أن يعملوا على تحقيق هذا المشروع الطوباوي: مشروع تذويب عقيدة المسلمين في حوجلة إفك الأفاكين، مشروع مطاردة بشائر الخير طلائع الجيل المؤمن في محاولة عنيفة لسحبها إلى ردة شاملة، وإحكام الطوق على رقابها بسلسلة الشبه يجر بعضها بعضا في لجة من الأحداث المتعاقبة تعاقب الليل والنهار.

وهكذا ولد فينا من لما بلغ أشده نادى بإمكانية طبع القرآن الكريم والتوراة المزورة والإنجيل المحرفة بين دفتي مجلد واحد، وجاء آخر بمشروع بناء مركب تعبدي باب قلعته يحوي جنبا إلى جنب مسجدا وكنيسة ومعبدا..

وجدير بالذكر الإشارة إلى كون هذه الهرطقات لم تكن وليدة فراغ، فقد سبقتها دعوات مجموعة ولقاءات مسمومة، سيما وقد سبق للـ "بابا" أن دعا لإقامة صلاة مشتركة تجمع "بغير كيف ولا تمثيل" ممثلي الأديان الثلاثة، وقد تم ذلك حيث أقيم هذا الاجتراء السافر وكان ذلك في قرية تدعى "اسيس" بإيطاليا بتاريخ 1986/10/27 وتتويجا لمثل هكذا سلوك اعتبر الـ"بابا" هذا اليوم عيدا لكل الأديان، وتوالت الأحداث وتناسلت الشعارات، وتدفق سيل من الألقاب والأوسمة، حيث تأسست الجماعة العالمية "للمؤمنين" باسم "المؤمنون المتحدون" سنة 1987م والتي كان من نتائجها اعتبار مؤسس الصليب الأحمر رمزا للإحسان العالمي، و"القردراوين" رمزا للتطور، بينما توج "كرل ماكس" بوسام المساواة، واعتبر الـ"بابا" رمزا للسلام العالمي والإيخاء الديني، وخرج أهل الإغراب المتأسلمون بخفي حنين صفر اليدين لكنهم حملوا أوزارهم وأوزار من انطوت عليهم الحيلة من العوام وكانوا ضحية فتونة الشبه ودسامة الأباطيل.

إننا وإن كنا نؤمن بأن كل هذا يجري على سنن الصراع والتقابل بين الحق والباطل، ونؤمن بكثير من الاطمئنان على نفاذ حكم الله الحاسم في الكثير مما هو من جنس هذا التدافع، ذلك الحكم الذي يستبشر به أهل الإنصاف، ومن أحسن من الله حكما "فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ" إلا أن المرء ومع منزلة الاطمئنان هذه لا يملك إلا أن يكشف عن مداخل السوء المبطنة لهذه الدعوات الفلسفية الإيديولوجية، السياسية الاستهلال، والإلحادية المقاصد، التي جاءت لفيفة عباءة جديدة لأخذ الثأر من المسلمين وإخماد توقعات ردود الفعل، وذلك عبر تعبئتهم في بيئة يشوبها الاسترخاء ويغلب عليها التبلد وتنتشر فيها الموبقات وتستهجن فيها النفوس لتغريب وتجريم أي سلوك قويم وفكر سليم.

فكيف للمسلم الغيور على عقيدة التوحيد الذي هو رباط الأرض بالسماء منذ أن أهبط آدم إلى الأرض وإلى آخر نفس منفوسة من الثقلين، كيف له سائغا كان أو غير سائغ أن يركع لهذه التيارات الجارفة التي أناطت بنفسها مسؤولية المآخاة بين التوحيد والشرك وبين الإيمان والكفر وبين الهدي والضلالة..

فإلى الذين ركعوا وسجدوا لصلبان الاخر ثم قاموا كالذي يتخبطه الشيطان من المس، يهرفون من حيث لا يعرفون، وينادون ببتر واجتزاء كل آية من فرقان الحق تدعو إلى تحصين النفوس، وتأمر بمقاومة الآخر وصد عدوانه طلبا ودفعا، بدعوى أنها تعسر سبل التآلف وتدعو إلى كراهية هذا الآخر وتكالبه وعدوانه على الأخضر واليابس، يلتمسون الأعذار ويتعللون بالأقدار ويا ليتهم كلفوا أنفسهم قليل عناء ففتحوا بطون كتب الأدب والتاريخ والدين عند هذا الآخر، وإن كان العاقل المنصف تكفيه ما نبست به الأفمام الحاقدة تغنيه أصوات القنابل المدوية التي حفرت السفح ودكت الجبل، ولكنها البصيرة قد أعماها الوهن فسلبها نور الفراسة وأطفأ فيها ضوء البصر.

مبادئ أساسية في صناعة نظرة الآخر إلينا

فمعذرة إلى الله وحجة عليهم نفتح مثالا لا حصرا بوابة بعض المفاهيم التي تعد مبادئ أساسية في صناعة نظرة الآخر إلينا إسلاما ومسلمين، ففي الكثير من المصنفات الأكاديمية المتخصصة في تاريخ أمريكا مثلا نجد أنه عندما يذكر الإسلام وتحاشيا أن تنسب إليه خدمة حضارية قد يزاحم بها الفكر الكنسي في وجدان المواطن الأمريكي، يعمد المصنفون إلى ربط الإسلام بالكاتب "مالكومكس" من زاوية كونه "طريقة جديدة" قدمها هذا الكاتب وخص بها مجتمع السود -السافل- أو الأفارقة الأمريكان دون مجتمع البيض ذو النزعة الآرية والعرق النقي والمكانة العليا بعلو نواقيس الكنيسة.

وبالرجوع إلى النصوص الانجليزية الأكاديمية نجدها وكما يذكر أهل التخصص تتحاشى قاصدة متعمدة ذكر ثقافة الآخر الإسلامي، فهي مثلا لا تزال ترسم صورة مثالية أسطورية بل وهالة من القداسة والسريالية لقادة الحروب الصليبية وخصوصا القائد الانجليزي ريتشارد الأول في مقابل النيل من الشخصية الإسلامية والسمعة الميدانية، والمكانة التاريخية للبطل الفاتح صلاح الدين الأيوبي!

كما لا تزال هذه النصوص تعمل من خلال ما تحمله من إيماءات سلبية على نقش المعتقد الفاسد وغرس جيناته في أدمغة جيل التلقي من طلاب المؤسسات التعليمية مثل الإشارة والتنصيص على أن الباعث على خوضهم الحروب الصليبية كان هو رفض المسلمين السماح للمسيحيين "بالحج" إلى القدس وزيارة السيد المسيح.

وعموما وإن تفرقت بهم الجغرافية وبعدت بهم شقة الكينونة فإن أصول المعتقد واحدة سماؤها المترعة مليئة بكواسر الهوية ونسور الأنا التي تحلق بجناحي الدين واللغة هذه "الأنا" التي يخطط أصحابها اليوم لتحقيق هذا النوع من التقريب هي عين "الأنا" التي لا ترى في تشريعنا الإسلامي إلا مجرد نصوص قام محمد عليه الصلاة والسلام باقتباسها من اليهودية والنصرانية وزاد فيها ما ليس منها، ولهذا فدعوتهم اليوم المتدثرة بلباس الأمن والمحبة هي في بطون قلوبهم المريضة لا تخرج عن كونها نضالا يسعى لتحقيق تقريب الغلبة والضم، يسعى لرد ما سلبه عرب الجاهلية بقيادة محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك فالذين يغردون من خارج السرب هنا هم خارج السياق هناك، يخدمونه عن غفلة أو جهل أو عمد.

فإلى الذين يريدون أن يحققوا الرباط المقدس بين الهلال والصليب ونجمة داوود وأن يبتدعوا بالوكالة غير المفوضة دينا جديدا يحلل من البعوضة إلى الفيل مرورا بالخنزير يعبد في الأب والابن والصاحبة، إليهم نقول أن الإسلام لم يشكو لكم كسورا حتى تجبروه، ولم يشكو لكم جرحا حتى تطببوه، ولكنه بفضل الله نعمة تامة ودين كامل أخبر عمن قبله "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا" وأثبت وبيّن ما سبقه "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" وهو دين لم يأت مكذبا لعيسى عليه السلام ولا نابزا لأمه مريم البتول بل جاء ليقول عنهما "مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ" وجاء ليملأ الدنيا ويربط جنباتها بعروة وثقى هي عروة: "لا إله إلا الله" بعدما اندرس التوحيد وانقلب الواحد ثلاثة، وصارت المعابد والأديرة مرتع دجل وخرافات، وتحول رجال الدين إلى زلفى ووسطاء يغفرون الذنوب ويمحون السيئات ويتنزهون أمام أعين الضالين عن الولد والصاحبة، ولا يتورعون عن إلصاقهما بالواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

ذلك هو ديننا ملة أبينا إبراهيم حنيفا وهو دين الأولين والآخرين، ومن يتبع غيره شرعة ويرضى سواه منهاجا، ففعله صدود وتعبده مردود، وهو في الآخرة من الأخسرين.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

الأوطان لا تستبدل بالأموال

هل يستبدل السبتيون والمليليون المغرب بأسبانيا..؟

قاسم العلوش

اندهشت كثيرا وربما اندهش معي كثيرون ممن تتبعوا الأزمة الأخيرة التي وقعت بين المملكة المغربية وإسبانيا على إثر الزيارة التي قام بها العاهل الإسباني إلى التراب المغربي المغتصب في سبتة ومليلية من تلك التصريحات التي كان يدلي بها بعض المشاركين في إحدى القنوات الإعلامية ممن لا يعرف معنى الوطنية وحب الوطن، التي تقول بأنه لو تم عمل استفتاء للسبتيين والمليليين لاختار المغاربة هناك البقاء مع إسبانيا عوض العودة للسيادة المغربية، لكونهم لن يغامروا بأن يستبدلوا الرفاهية والتقدم والحرية التي يعيشونها تحت الاحتلال بشظف العيش والتخلف والكبت الذي سيكون في انتظارهم تحت السيادة المغربية زعموا.

لا شك أن هذا كلام متهافت، والأكثر تهافتا منه الكلام الذي يقول أن سبتة و مليلية كانتا منذ الأزل "إسبانيتين"، فإذا قلبنا صفحات التاريخ القديم والحديث لوجدنا بين سطورها الحقيقة الصادمة التي ترد على هؤلاء وأولئك.

الأحرار يصبرون على الفقر والجوع ويأبون العيش تحت وطأة الذل والاحتلال

إن الشعوب التي عاشت تحت الاحتلال والاغتصاب الأجنبي لأراضيها وشعوبها إبان الحقبة الاستعمارية، وما رافق ذلك من استغلال للخيرات والثروات، تتذكر جيدا حركات التحرر الوطني التي قامت فيها، لأجل استرجاع السيادة الوطنية والكرامة لشعوبها. إنها حركات ولا شك تعرضت لكثير من الإغراءات بكل أنواعها، وخاصة زعماؤها، لأجل التراجع عن مشروع الكفاح من أجل التحرير الوطني، واللحاق بمن انغمسوا في خدمة المشاريع الاستعمارية للقوى الأجنبية.

لقد كان بإمكان قوى التحرر الوطني، على اختلاف نحلها ومللها، أن تقبل تلك المغريات وتتخلى عن المطالبة باستقلال أوطانها، غير أنها اختارت العزة على الذلة، واختارت السيادة وشظف العيش، عوض الرفاهية والمهانة التي كانت ستظل تعيشها شعوبها المستغلة من بعدها من المحتل.

لقد ضربت شعوب كثيرة في العصر الحديث المثال الرائد في تفضيل الاستقلال والحرية على التبعية والعبودية، سواء الشعوب العربية والإسلامية أو الشعوب الإفريقية أو الشعوب الآسيوية. ولا يزال الشعب الفلسطيني يعطي أروع الأمثلة على ذلك، رغم ارتماء ما يسمى بـ "السلطة الفلسطينية" في أحضان المشروع الصهيو-أمريكي.

لو فكرنا بمنطق القائلين إذن بتلك المقولة، مقولة البقاء في "رفاهية" المحتل الغاصب عوض البحث عن السيادة والعزة، لما ناضل شعب من أجل دينه وأرضه وسيادته، ولبقي المستعمر يصول ويجول في بلدانها ناهبا خيراتها، مستعبدا إنسانها.

لقد أبانت الأزمة الأخيرة بين المغرب وإسبانيا على أن الحس الوطني لدى المغاربة للمطالبة بحقهم في السيادة على أرض هي جزء من أرضهم وعلى ماء هو جزء من مائهم وعلى سماء هي جزء من سمائهم، لايزال متقدا مهما طال الزمن، وأنهم ينتظرون فقط حزم المسئولين عن صناعة القرار بالمغرب، ومدى جديتهم في معالجة معضلة استمرار احتلال أرض، ربما لو نطقت طيورها وأسماكها وأحجارها لسخرت هي بدورها من ادعاءات الإسبان أن سبتة ومليلية "أرضا إسبانية" منذ الأزل ولقالت: كذب الأفاكون المدعون أننا لا ننتمي منذ الأزل لهذا الوطن الذي اسمه المغرب.



وقفة تاريخية

في التاريخ الذي ليس بالبعيد يحكي لنا الناصري في كتابه "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" كيف عمل البرتغال على اقتطاع سبتة وإخراجها من تحت السيادة المغربية سنة 818 هجرية، قال الناصري رحمه الله: "..**ذكر صاحب نشر المثاني في كيفية استيلاء البرتغال على سبتة.. أن النصارى جاؤوا بصناديق مقفلة يوهمون أن بها سلعا، وأنزلوها بالمرسى كعادة المعاهدين، وذلك صبيحة يوم الجمعة من بعض شهور سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالا عددهم أربعة آلاف من الشباب المقاتلة فخرجوا على حين غفلة من المسلمين واستولوا على البلد**"، اهـ بتصرف يسير.

فالبرتغال أو "البرتقيز" كما كان يحلو للمغاربة تسميتهم عبر التاريخ، هم أول من اقتطع أرض سبتة من السيادة المغربية وألحقوها ببلدهم وليس الإسبان، وقد استولى الإسبان على سبتة بعد انتزاعها من البرتغال بمقتضى اتفاقيات وشروط تمت بين البلدين سنة 1080هـ/1669م كما يخبرنا بذلك الناصري في تاريخه. غير أن المغاربة لم يتركوا ذلك دون ردة فعل يسعون من ورائها استرجاع المدينة المغتصبة بالقوة، وقد كانت أولى محاولتهم سنة 842 هـ/1438م، أي 22 سنة بعد احتلالها من طرف البرتغال، وقد كادوا ينالوا بغيتهم لولى لطف الله تعالى ثم هلاك كبير قادة جيوش البرتغال، بعدما تم أسره على يد عسكر السلطان في سجن فاس، حيث تم عقد اتفاقية إطلاق سراحه هو ومن كان معه من الجند الأسرى مقابل جلاء البرتغال عن مدينة سبتة.

هل مطالبة المغرب باسترجاع سبتة ومليلية مطالبة صادقة؟

يرى بعض المتتبعين لقضايا الشأن المغربي أن ساسة لا يستطيعون تحريك ملف سبتة ومليلية بالقدرة والنجاعة المطلوبتين، نظرا لثقل ملف الصحراء وأوليته على الأجندة المغربية، لكن ذلك لا يعني أن حق سيادة المغرب على المدينتين يمكن أن يطاله التقادم، كما صرح بذلك الملك محمد السادس في خطابه الأخير يوم 2007/1/16، وفي المقابل لا ينبغي السكوت وترك الملف بالمرة لا تحركه إلا المناسبات الاستفزازية التي يقوم بها الجار الشمالي، لأن ذلك كما يقول بعضهم يعطي انطباعا لدى الرأي العام الوطني قبل الدولي أن مطالبة المغرب بحقه في السيادة على سبتة ومليلية ليست ذات مصداقية، من زاوية أنها مطالبة "مناسباتية وقتية" وربما هي فقط مطالبة يمليها الإحراج الذي تسببه السياسات الإسبانية اتجاه المدينتين، أكثر من أن تكون قناعة نابعة من مدى منطقية وعدالة الموقف المغربي.

ولا يمكن التسليم بأي حال من الأحوال بسلامة الفكرة القائلة أن المصالح الاقتصادية التي بين المغرب وأسبانيا سببا في سكوت المغرب عن ملف سبتة ومليلية، وحتى لو كانت هذه الفكرة قائمة لدى بعض المسئولين المغاربة فإنه لا يمكن البتة أن نستبدل شبرا من وطننا مقابل المال. فالمغرب ليس وحده المستفيد من العلاقات الاقتصادية القائمة بين البلدين.. بل يمكننا القول أن أسبانيا تستفيد أكثر من المغرب من خلال هذه العلاقة وهذا لا يخفى على نبيه. كما أن العلاقات الاقتصادية، التي لا تقوم على الاحترام المتبادل والاعتراف بالحقوق المشروعة والعادلة لكل بلد، لا يمكن الارتياح لها أبدا، لكونها شبيهة بالعلاقة التي يستخدم فيها منطق العصا والجزرة، وإذا كان الجار الشمالي يريد أن يعامل المغرب بهذا المنطق فلا ينبغي القبول به البتة من الجانب المغربي.

قراءة في كتاب:
مشروع الحركة النسوية اليسارية بالمغرب منطلقاته، أهدافه، ووسائله المجتمع المغربي أنموذجا

الطبعة الأولى: 2006
حجم الكتاب: 24/16.5 سم
عدد صفحات الكتاب: 152 صفحة
الكاتب: د.عبد الرحمن محمود العمراني
الناشر: مجلة البيان
قراءة: أحمد السالمي

الحركة النسوية في العالم العربي

تبذل الحركة النسوية في العالم العربي الذي يُعد المغرب جزء منه جهودا حثيثة في محاولة تحقيق وتنفيذ القرارات والتوصيات الصادرة عن الأمم المتحدة وخاصة مؤتمر بكين 95، وتطبيق اتفاقية مكافحة كل أشكال التمييز ضد المرأة والتي تعرف اختصارا بـ (السيداو)، التي تعني في حقيقتها إلغاء الفروق التشريعية بين الرجل والمرأة، ومحاولة إلغاء آثار الفروق البيولوجية بينهما، ما يعني في النهاية القضاء على الصورة الشرعية والإنسانية للأسرة التي تتكوّن فيها الأسرة من زوج وزوجة وأولاد، ويكون فيها المرأة مقصورة على زوجها وراعية لأطفالها تلفهم بحنانها ومسؤوليتها، إضافة إلى تدبيرها لأمر بيتها وطاعتها لزوجها في جو من الألفة والتعاون، وابتداع صورة متعددة للأسرة التي تتكون فيها الأسرة من زوجة وعدة أزواج، أو من زوج وزوج (اللواط)، أو من زوجة وزوجة (السحاق).

ولنا أن نتساءل: ما المردود الحقيقي لهذه الحركة النسوية في مجتمع المسلمين، بعيدا عن ضجيج الألفاظ الفخمة والصياح العالي؟ ما الذي تقدمه هذه الحركة -حقا- للنساء؟ وما القضايا المحورية التي تريد تلك الحركة الوصول لتحقيقها، بعيدا عن القضايا الفرعية الهامشية التي تستخدم لتسهيل ما بعدها أو لإغضاء الطرف عنه؟

هذا وغيره يمكن أن نطالعه في سلسة من الإصدارات قامت بها مجلة البيان في محاولة منها لمواجهة قوى التغريب والانحلال، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا منها.

مشروع الحركة النسوية اليسارية بالمغرب

يبدأ المؤلف كتابه بإبراز مكانة المرأة في الإسلام، وتسليط الضوء على دور الفئة المغربية المنبهرة بالحضارة الغربية والمتأثرة بالفلسفة الوضعية التي حملت لواء الدفاع عن حقوق المرأة انطلاقا من إيديولوجيتها الغربية وتنفيذ القرارات الدولية.

ليأتي بعد ذلك الفصل الأول الذي عنونه بـ"مشروع الحركة النسوية -منطلقاته وأهدافه-" ليبين أن مشروع الحركة النسوية يهدف إلى تحقيق مبدأين اثنين هما مبدأ المساواة بين الجنسين موضحا "أن كل الكتابات النسوية تظهر أن المساواة بين الجنسين يراد بها تحقيق المساواة التامة بين المواطنين والمواطنات والقضاء على كل أشكال التمييز بما فيها التمييز المبني على أساس الجنس، وهذا التمييز يعود في نظر الفكر العلماني إلى زمن بعيد في الحضارات البدائية بمعنى أن وضع المرأة لم يتغير بمجيء الإسلام عما كان عليه وضعها قبله!! مستندة في هذا المبدأ على ميثاق الأمم المتحدة؟!" أما المبدأ الثاني فهو مبدأ تحرير المرأة "التي أريد باسمه أن تكون المرأة لعبة في يد المؤسسات التجارية العالمية التي استخدمتها طمعا للاصطياد بها في أسواق المال وباسم الحرية أن تكون سلعة تعرض في الشوارع يتاجر بعرضها، وباسم الحرية تصير عشيقة وخليلة الكل، ولم تحدد الحركة وهي تنادي بتحرير المرأة موقفها من الخطوات التي رسمتها الحضارة الغربية لذلك، ولم تعتبر بوضع المرأة الغربية النفسي والاجتماعي لا المادي فقط، بدل أن تعتمدها نموذجا غير قابل للنقد ولا المراجعة".

ثم تطرق في هذا الفصل لواقع المرأة من خلال مشروع الحركة النسوية، وذلك انطلاقا من وضع المرأة داخل الأسرة، ووضعها في الواقع، ووضعها في ظل القوانين الجاري العمل بها، وناقش رؤية الحركة لهذه الوضعيات بالنسبة للمرأة المغربية، كما أشار إلى أن وضع المرأة يحتاج إلى تصحيح في أغلب البلاد الإسلامية، لكن وفق الثوابت الإسلامية ويشارك فيها العلماء العاملون والمصلحون.



ولاحظ الكاتب على الحركة النسوية عدم إكتراثها للمرجعية الإسلامية، وخروجها عن الضوابط الشرعية في معالجتها، وتبنيها المطلق للمرجعية المتمثلة في المواثيق الدولية وتوصيات المؤتمرات العالمية حول المرأة.

ثم بيَّن الكاتب مطالب الحركة النسوية، وعرج على الحملة الشرسة التي قادتها الحركة ضد مدونة الأحوال الشخصية، وذكر مجمل المطالب الواردة في مشروع الحركة النسوية المتعلقة بمدونة الأحوال الشخصية المغربية، وأن قراءة بسيطة لها وللفلسفة التي تقوم عليها تفيد أن ما يراد للأسرة في بلادنا ليس منفصلا عن أصله في توصيات المؤتمرات الدولية حول المرأة ومن ورائها المؤسسات المالية العالمية التي تطمح إلى عولمة البشرية بالقضاء على مراكز الحصانة والمناعة الخلقية والاجتماعية وعلى رأسها قلعة الأسرة انطلاقا من ضرب مفهومها واقتراح أشكال متعددة لها، فالجبهة العلمانية إنما تعمل على هدم المحضن الوحيد الأكثر فعالية والأكثر دفئا وأمنا للتدين في المجتمع.

كما لفت الكاتب أنظار القراء إلى تغافل الحركة عن معاناة المرأة من أنواع الاستغلال الشهواني والتجاري لجسدها الذي أصبحنا نراه ونسمع عنه ويقع دون أن يعتبر ذلك فعلا مهينا لكرامتها، ولا يتحدث عن معاناتها من انتشار ظاهرة البغاء التي هي أكبر أنواع العنف الممارس ضدها والمسكوت عنها، مثلما يتم السكوت عن ممارسة التضييق على المرأة المتدينة في عملها إذا اختارت تغطية الرأس!!

وفي المبحث الأخير في هذا الفصل ناقش الكاتب مصير مطالب الحركة النسوية وتعديل مدونة الأحوال الشخصية.

وجاء الفصل الثاني بعنوان "مشروع الحركة النسوية ضوابط ومنافذ، إنجازه ومرجعيته" وتحته ثلاثة مباحث: الأول عنونه بـ"الضوابط الوهمية والخلفيات الخلقية في مشروع الحركة النسوية" وبيَّن فيه أن هذه الضوابط إنما هي ضوابط وهمية زائفة في خطاب الحركة النسوية، وأن الخلفيات الخلقية المراد تحقيقها تأتي زعما باحترام الهوية الإسلامية، وتناقض مقترحاتها المسطرة، وناقش تصريحها بضرورة الاجتهاد لضمان استمرار الإسلام، وأنها إنما تعني به قراءة النصوص قراءة جديدة تنسجم وموجة تحرير المرأة عالميا.

ويأتي اهتمامها بالصحة الإنجابية للمرأة، وتُدرج معها حديثها عن أهمية العازل الطبي في الوقاية من الأمراض الجنسية، وتدعي أن خطابها يعتمد المنهجية العلمية في الخطاب وفي التحليل، ويكذبه الواقع العلمي عند الإنجاز.

وحاول في المبحث الثاني الذي أدرجه تحت عنوان "وسائل تسويق مشروع الحركة النسوية" رصد أهم القنوات لتصريف مشروع الحركة النسوية، وأن لكل واحد منها أهمية في إيصاله إلى فئة من فئات المجتمع، وتقوم بالدور الأكبر في ذلك الأسرة ثم المدرسة والإعلام بأنواعه، ولذلك كان اهتمام الحركة النسوية ولا يزال يلح على ضرورة تغييرها لتنسجم مع مضامين الاتفاقيات الدولية وتوصيات المؤتمرات العالمية حول المرأة.

وجاء المبحث الثالث "علاقة مشروع الحركة النسوية بالمرجعية الغربية" متضمنا استدلال الكاتب من خلال إنتاجات ومصادر الحركة النسوية أن خطاب مشروع الخطة كان خطابا مخالفا في بعض جوانبه لأحكام الشريعة الإسلامية، ولا يكترث لضوابط مقومات الشخصية المغربية فإنه على عكس صفة الوطنية التي ألصقت به كتب أولا باللغة الفرنسية، ولرفع الحرج ترجم ترجمة ضعيفة غير متناسقة مع الأصل لتكشف غربتها عن السياق العام للمعرفة في البلد.

ويختم د.عبد الرحمن محمود العمراني كتابه بدعوة إلى قيام حركة نسوية منضبطة للمرجعية الشرعية لتقديم صورة إيجابية عن المرأة المسلمة، وتوضيح القيم والمفهومات التي تنبني عليها العلاقات بين أفراد الأسرة بميزان العدل الرباني.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

التبرك بالمشاهد والقبور والأضرحة .. ونحوها

التبرك هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر، وكلّ ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه بسبب ذات مباركة، أو زمان مبارك، وتكون هذه البركة قد ثبتت ثبوتاً شرعياً، وثبتت الكيفية التي تنال بها عن الله أو نبيه صلى الله عليه وسلم.

فما لم يرد فيه نص، أو ما ورد النص في النهي عن التبرك به، كالتبرك بالطواف بالقبور، ودعاء الأموات والغائبين، والتبرك بالأشجار والأحجار والغيران وغيرها، والتبرك بذوات العلماء والصالحين، فإن هذا لا يجوز، وإنما تلتمس البركة بأخذ العلم عنهم، وبالاستفادة من سمتهم وهديهم.

فعن أبي واقد الليثي قال: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات: أنواط فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون) لتركبن سنن من كان قبلكم" رواه الترمذي وصححه.

قوله صلى الله عليه وسلم: ونحن حدثاء عهد بكفر أي قريب عهدنا بالكفر، ففيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قبله لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة.

وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركاً بها وتعظيماً لقدرها، وسميت ذات أنواط لأنهم كانوا ينوطون بها أسلحتهم، أي يعلقونها عليها للبركة، وفي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك، وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها.

وقد شبه الصادق المصدوق مقولتهم بمقولة بني إسرائيل "اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" بجامع أن كلاً طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد، **فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة**.

فعلى الإنسان ألا يغتر ويخشى على نفسه من الوقوع في الشرك، فقد يستحسن شيئاً يظن أنه يقربه إلى الله، وهو أبعد ما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلى من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور، من الغلو فيها وصرف جل العبادة لها، فيحسبون أنهم على شيء وهم واقعون في الذنب الذي لا يغفره الله.

قال ابن أبي شامة في كتاب البدع والحوادث: "..ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من عيون وشجر وحائط وحجر.. فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث". اهـ

وذكر ابن القيم رحمه الله نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: "..فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر، أي تقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له".

وفي هذه الجملة من الفوائد: أن ما يفعله من يعتقد في الأضرحة والقبور والأشجار والأحجار من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولا يغتر بالعوام ومن لا علم صحيح عنده، ولا يستبعد كون الشرك بالله تعالى يقع في هذه الأمة، فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسناً وطلبوه من النبي صلى الله عليه وسلم حتى بين لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل: "اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة؟!

إن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلبتهم كطلبة بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط، فالمشرك مشرك وإن سمى شركه ما سماه، كمن يسمى دعاء الأموات والذبح والنذر لهم ونحو ذلك تعظيماً ومحبة، فإن ذلك هو الشرك، وإن سماه ما سماه. وقس على ذلك.

التوحيد مفتاح دعوة الرسل

..التوحيد مفتاح دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو أول ما يدخل به المرء في الإسلام، وأخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب.

لقد أكرم الله تعالى الإنسان وأعظم عليه المنَّة، عندما بعث إليه الرسل، وأنزل معهم الكتب والشرائع، التي تتفق مع فطرة هذا الإنسان التي فطره الله تعالى عليها، من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، الخالق المعبود، الذي لا يستحق العبادة أحد سواه.

ثم أكرم الله تعالى الإنسان مرة أخرى، عندما ختم الرسالات السماوية برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وتكفّل بحفظها وحفظ كتابها، حيث قال سبحانه وتعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون" (الحجر: 9).

وبذلك كانت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي الرسالة الوحيدة التي بقيت على أصولها المنزلة، محفوظة بحفظ الله تعالى من أي تغيير أو تحريف أو تبديل، وبذلك تم الحفاظ على دعوة التوحيد نقية صافية، كما جاء بها جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، إلى أن ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد جاؤوا جميعهم بدعوة الإسلام وكلمة التوحيد.

والتوحيد هو قاعدة كل شريعة جاء بها رسولٌ من عند الله تعالى، وقد بين الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة وأكدها في قصة كل رسول، قال الله تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" (المؤمنون: 23)، "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف: 65). "وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف:73).

وهي الكلمة نفسها التي تكررت على لسان شعيب وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، حتى أصبحت قاعدة عامة، قررها الله سبحانه وتعالى فقال: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ" (الأنبياء: 25)، "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ" (النحل: 36).

فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو أول ما يدخل به المرء في الإسلام، وأخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: "إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله وحده، وفي رواية: فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل، افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وتُردُّ إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإيّاك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" (أخرجه الشيخان)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله عز وجل" (رواه الشيخان).

وفي هذا الحديث تفسير لقول الله تعالى: "فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ" (التوبة: 5)، والتخلية في هذه الآية الكريمة والعصمة في الحديث الشريف، الذي جاء قبلها كلاهما بمعنى واحد.

فكل الرسل، عليهم الصلاة والسلام قد أدركوا حقيقة التوحيد وكلهم بعثوا بها، وكلهم دعا إلى عبادة الله الواحد، دعا إلى الحقيقة التي تلقاها وأمر بها كما أمر أن يبلغها، وقد نهضوا جميعا عليهم الصلاة والسلام بذلك لإيمانهم المطلق بكونها الحقيقة الصادرة إليهم من الله تعالى وحده، ومن ثم كان هناك مصدر واحد لا يتعدد، يتلقى منه البشر التصور الصادق الكامل الشامل لحقيقة الوجود كله، هذا المصدر هو الذي أنزل على خاتم رسل الله تعالى: محمد صلى الله عليه وسلم، هذا الكتاب هو القرآن الكريم، أنزله بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .

إن التوحيد المطلق لله سبحانه وتعالى، يقتضي توحيد دينه الذي أرسل به الرسل عليهم الصلاة والسلام للبشر جميعاً، وتوحيد رسله الذين حملوا هذه الأمانة والرسالة للناس، ولذلك وصف الله تعالى من يريدون التفرقة بين الله ورسله -بأن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض- بأنهم "هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً" قال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً" (النساء).

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

وقت مهجور يرجى استجابة الدعاء فيه "ما بين الظهر والعصر من الأربعاء"

من نعم الله عز وجل على عباده أن جعل لهم أوقاتا وأحوالا يرجى فيها استجابة الدعاء إذا حرص العبد على ذلك وألح علي مولاه وتضرع إليه.

ومن هذه الأوقات وقت غفل عنه كثير من الناس لجهلهم به أو لتفريطهم فيه وهو: ما بين صلاة الظهر والعصر من يوم الأربعاء (انظر فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد 173/2)، وقد دلَّ على ذلك حديث جابر رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرف البشر في وجهه.

قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعوا فيها فأعرف الإجابة".

قال المنذري رحمه الله: "رواه أحمد والبزار وإسناد أحمد جيد" الترغيب والترهيب 143/2.

وقد حسنه العلامة الألباني رحمه الله كما في صحيح الترغيب والترهيب 143/2 رقم 1185.

وفي رواية قال جابر رضي الله عنه: "ولم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فدعوت الله فيه بين الصلاتين يوم الأربعاء في تلك الساعة إلا عرفت الإجابة" وقد حسنها الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد 246/1 رقم 704.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: "لولا أن الصحابي رضي الله عنه أفادنا أن دعاء الرسول صلى الله ليه وسلم في ذلك الوقت من يوم الأربعاء كان مقصودا –والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وليس الخبر كالمعاينة- لو لا أن الصحابي أخبرنا بهذا الخبر لكنا قلنا هذا قد اتفق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دعا فاستجيب له في ذلك الوقت من ذلك اليوم.

لكن أخذ هذا الصحابي يعمل بما رآه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ووقتا ويستجاب له.

إذا هذا أمر فهمناه بواسطة هذا الصحابي وأنه **سنة تعبدية لا عفوية**" انظر شرح صحيح الأدب المفرد للشيخ حسين العوايشة 380/2-381.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله لما ذكر حديث جابر: "وهذا الحديث يعمل به طائفة من أصحابنا وغيرهم فيتحرون الدعاء في هذا كما نقل عن جابر **ولم ينقل عن جابر رضي الله عنه أنه تحرى الدعاء في المكان بل في الزمان**" الاقتضاء 433.

وقال القرطبي رحمه الله: "..وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة، وذلك كالسحر، ووقت الفطر، وما بين الآذان والإقامة، **وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء**.. (ثم ذكر حديث جابر)" الجامع لأحكام القرآن 302/2.

وقال البيهقي رحمه الله: "..ويتحرى للدعاء الأوقات والأحوال والمواطن التي يرجى فيها الإجابة تماما، فأما الأوقات فمنها **ما بين الظهر والعصر من يوم الأربعاء**" شعب الإيمان 42/2، وانظر تحفة الذاكرين للشوكاني رحمه الله 63 و69.

ما نهي عنه سدا للذريعة يباح للمصلحة الراجحة

المنهيات في الشريعة تنقسم إلى قسمين اثنين: منها ما نهي عنه **لمفسدة في نفسه** كشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير،.. ومنها ما نهي عنه **لأنه ذريعة إلى منهي عنه لذاته**، كالبيع بعد النداء يوم الجمعة فقد نهي عنه لأنه يفضي إلى الاشتغال عن الصلاة.

والذريعة في عرف الفقهاء[1] هي: "**عبارة عن كل أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع**" الجامع لأحكام القرآن 57/2-58 للقرطبي رحمه الله.

وقاعدتنا في هذا الصدد تخص باب الذرائع حيث تنصُّ على أن النهي عنه للذريعة -**لا لأنه مفسدة في نفسه**- إذا كان في فعله **مصلحة راجحة**، فإن حرمته تهدر، ويباح عند الحاجة، **بشرط أن تكون هذه المصلحة متحققة[2] لا تتم إلا بذلك فتنبه**.

ويعبر عن هذا العلماء بقاعدة: "**فتح الذرائع**"، فإن من الذرائع ما لا يسد بل يفتح لما في فتحها من **المصالح الراجحة[3]** على المفسدة **المتوقعة**، وعليه فإذا **تبين ذلك** فلا مجال لإعمال قاعدة سد الذرائع، بحيث لو أعملت -عند ذلك- **لأفضى الأمر إلى تفويت مصالح عظيمة، ووقع الناس معها في حرج عظيم**.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "**وما كان منهيا عنه لسد الذريعة لا لأنه مفسدة في نفسه يشرع إذا كان فيه مصلحة راجحة، ولا تُفوت المصلحة الراجحة لغير مفسدة راجحة[4]**" الفتاوي 214/23، وانظر زاد المعاد 161/2.

ودليل هذه القاعدة **الاستقراء[5]** للمواطن التي ورد فيها نهي للذريعة، ومن ثم أبيح **للمصلحة الراجحة**، وقد أشار إلى هذا الإمام ابن القيم رحمه الله حيث قال: "ولما كان النظر من أقرب الوسائل إلى المحرم اقتضت الشريعة تحريمه، وإباحته في موضع الحاجة، **وهذا شأن كل ما حرم تحريم الوسائل[6]، فإنه يباح للمصلحة الراجحة**" روضة المحبين 95.

ومما يؤكد هذا أن علماء الأصول اعتبروا باب الذرائع قاعدة مآلية، أي: اعتبر فيها النظر إلى مآلات الأفعال. انظر الموافقات 198/4، و"**الأشياء إنما تحل وتحرم بمآلاتها**" نفسه 259/3.

و"النظر **في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا**" نفسه 194/4.

وقد دلت "الأدلة الشرعية **والاستقراء التام** أن المآلات معتبرة في أصل المشروعية" نفسه 196/4.

ويمكن إيضاح قاعدة ما نهي عنه سدا للذريعة يباح لمصلحة الراجحة **بأنها تعارض بين مفسدة ومصلحة لكن هذه الأخيرة أوسع ولذا قدمت فتأمل**.

ومن فروع هذه القاعدة:

أولا: قال ابن القيم رحمه الله: "وتحريم الحرير إنما كان سدا للذريعة ولهذا أبيح للنساء للحاجة والمصلحة الراجحة، وهذه قاعدة ما حرم لسد الذريعة فإنه يباح عند الحاجة والمصلحة الراجحة" زاد المعاد 70/4.

ثانيا: قال شيخ الإسلام رحمه الله: "والفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه كما نهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة لما في ذلك من المفسدة الراجحة، وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلى الشرك، وليس في قصد الصلاة في تلك الأوقات مصلحة راجحة لإمكان التطوع في غير ذلك من الأوقات، ولهذا تنازع العلماء في ذوات الأسباب فسوغها كثير منهم في هذه الأوقات وهو أظهر قولي العلماء لأن النهي إذا كان لسد الذريعة أبيح للمصلحة الراجحة، وفعل ذوات الأسباب يحتاج إليه في هذه الأوقات ويفوت إذا لم يفعل فيها فتفوت مصلحتها فأبيحت لما فيها من المصلحة الراجحة، بخلاف ما لا سبب له فإنه يمكن فعله في غير هذا الوقت فلا تفوت بالنهي عنه مصلحة راجحة وفيه مفسدة توجب النهي عنه" الفتاوي 164/1.

ثالثا: قال ابن تيمية رحمه الله: "..ولذا كان النظر الذي قد يفضي إلى الفتنة محرما إلا إذا كان لحاجة راجحة مثل نظر الخاطب والطبيب وغيرهما فإنه يباح النظر للحاجة مع عدم الشهوة.." الفتاوي 419/15.

1- قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الذريعة ما كان طريقا إلى الشيء ولكن صارت في **عرف الفقهاء** عبارة لما أفضت إلى فعل محرم" الفتاوى الكبرى 100/3.

2- لا بد أن تكون كذلك غير متوهمة فإن "**الموهوم لا يدفع المعلوم، و..المجهول لا يعارض المحقق**" القواعد الحسان للسعدي 127.

3- هذا بخلاف مذهب الإمام مالك رحمه الله فإنه يأمر بسد الذرائع حتى مع الحاجة إليها انظر الفتاوي 215/23.

4- قال ابن القيم رحمه الله: "..**فترك الخير الكثير الغالب لأجل الشر القليل المغلوب شر كثير**" مفتاح دار السعادة 142.

5- والاستقراء حجة شرعية عند أهل العلم فتنبه.

6- هذا على التسوية بين سد الذرائع وتحريم الوسائل كما هو مذهب الإمام القرافي رحمه الله كما في الفروق 38/2، وغيره من المالكية، وذهب غيرهم إلى التفريق بينهما بجملة من الفروق من ذلك: أن تحريم الوسائل هي: أمر **محظور في نفسه** (أي: الوسائل) لأنه يؤدي إلى محظور شرعي، أما في سد الذرائع **فحكم الذريعة في نفسها الإباحة**. انظر قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية 157، **والمسألة اصطلاحية لا غير** والعلم عند الله.

تعظيـم الأشهـر الحــرم تعظيم لشعائر الله

الاشهر الحرم اشهر كريمة فاضلة، لها حرمتُها عند الله تعالى، اختصها ربُّنا دون شهور العام، فأمر بتعظيم حرمتها، ونهى عن الظلم فيها.. فهذا نداء الله تعالى للمؤمنين: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ" (المائدة)، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "شعائر الله: محارمه، أي لا تُحلوا محارم الله التي حرَّمها الله تعالى؛ ولهذا قال تعالى: "وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ" (المائدة)، يعني بذلك تحريمه، والاعتراف بتعظيمه، وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه من الابتداء بالقتال، وتأكيد اجتناب المحارم".

تعيين الأشهر الحرم

قال تعالى: "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ" (التوبة).

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خطب في حجة الوداع فقال في خطبته: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراَ، منها اربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان".

فقد بيَّن القرآن الكريم أن السَّنَة القمرية التي بها يكون حساب الشرع مقسمةٌ إلى اثني عشر شهرًا، وقد اختص الله من بينهم أربعة أشهر جعلها حرامًا، وقد بيَّن الحديث تعيين هذه الأشهر الأربعة، أنها ثلاثة أشهر متوالية وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وشهر رجب الذي يقع بين جمادى وشعبان، وهو الشهر الذي كانت تحرمه قبيلة مضر في الجاهلية وتسميه باسمه، وليس الشهر الذي كانت تحرمه قبيلة ربيعة بدلاً منه وهو شهر رمضان؛ حيث إنهم كانوا يبدلون الأشهر الحرم حسب أهوائهم، حتى جاء الإسلام فردَّ الأمورَ إلى نصابها.

كيف نعظِّم حرمة هذه الأشهر

تشترك الأشهر الحُرُم في آداب وأحكام ينبغي للمسلم أن يتعلمها ويعمل بها؛ حتى يكون من الذين يعظِّمون حرمات الله "وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ" (الحج).

1- **تجنب الوقوع في الآثام**، خصوصًا في هذه الأشهر؛ لأن الآثام تضاعفت فيها لحرمتها، مثل مضاعفتها إذا ارتُكبت في البلد الحرام مكة، قال تعالى: "فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ" (التوبة)، قال ابن عباس: "..الشهور كلها، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر، فجعلهن حرامًا وعظَّم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم".

2- **الإكثار في هذه الأشهر من الأعمال الصالحة**، فقد أرشد النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى ذلك بقوله: "صُمْ من الحُرُم واترك، صُمْ من الحُرُم واترك، صُمْ من الحُرُم واترك"، وقال بأصابعه الثلاثة فضمَّها ثم أرسلها، (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه)، أي أشار بصيام ثلاث أيام وفطر ثلاثة أخرى، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم.

3- أما النهي عن القتال في هذه الأشهر فقد اختلف العلماء في حكمه، هل تحريمه باقٍ على ما كان عليه الأمر في أول الإسلام أم أنه نُسِخَ؟ فالجمهور على أنه نُسِخَ، وذهبت طائفةٌ إلى بقاء تحريمه.

فضل شهر الله محرَّم الحرام

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: "أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرَّم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل"، فالصيام في هذا الشهر هو أفضل الصيام بعد رم
ضان.

ويتأكد استحباب صيام اليوم العاشر من هذا الشهر، فهو يوم نجاة نبي الله موسى عليه السلام وبني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى عليه السلام شكرًا لله، وصامَه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فعن ابن عباس قال: قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "ما هذا اليوم الذي تصومونه"؟! قالوا: هذا يومٌ عظيمٌ أنجى الله فيه موسى وقومَه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا لله فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "فنحن أحق وأولى بموسى منكم" فصامه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وأمر بصيامه. (رواه البخاري ومسلم).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: "يكفر السنة الماضية" (رواه مسلم)، ويستحب أيضًا صيام يم التاسع لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قبل وفاته: "لئن بقيت إلى قابل -يعني العام القادم- لأصومن التاسع" (رواه مسلم).

رسالة مفتوحة إلى كل حاج

محمد أبو الفتح

إلى كل حاج لبى في الميقات والمشاعر لا تنس قولك مستجيبا لربك: "لبيك"، واحرص على أن تكون لله عبدا مطواعا بعد الحج، كما كنت تقول بصوت عال "لبيك"، فاستح من الله أن يجدك حيث يحب أن يفقدك، أو أن يفقدك حيث يحب أن يجدك، استح منه أن يراك على معصية، أو متأخرا عن طاعة، وعن قريب كنت تنادي "لبيك اللهم لبيك"، فابق على ما كنت عليه، ولا تبدل تبديلا، ونادِ بلسان حالك "لبيك يا رب لبيك، إلى آخر نفسٍ من حياتي لبيك".

إلى كل حاج قال في التلبية "لبيك لا شريك لك لبيك"، وقال في موقف عرفات "لا إله إلا الله وحده لا شريك له.."، لا تجعل لله شريكا بعد الحج، لا تنقض توحيدك فيحبط عملك، وتذكر أن عرفة هو المكان الذي أخذ الله فيه الميثاق على بني آدم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا، فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان، يعني: عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال: ألست بربكم، قالوا، بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون" (صححه الألباني)، فأنت قصدت المكان الذي أعطيت فيه العهد الأول لتجدد العهد مع الله تعالى بأن توحده وتطيع أمره.

إلى كل حاج امتنع عن محظورات الإحرام، فتجرد من ثيابه وزينته لله تعالى، وامتنع عن العطور الزكية لله تعالى وهي من أطيب الطيبات، لا تجرب الخبائث بعد الحج واتركها لله تعالى.

إلى كل حاج حرص على تطبيق السنة في حجه امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "خذوا عني مناسككم"، ابق على ما كنت عليه من الحرص على السنة ومجانبة البدعة في كل عبادة حتى تلقى الله تعالى.

إلى كل حاج امتنع عن الرفث والفسوق والجدال في الحج، راقب الله في قولك ومنطق لسانك بعد الحج.

إلى كل حاج طاف بالبيت سبعا اعلم أن الطواف بالبيت عبادة خاصة بذلك المكان، وأن الطواف بالقبور تعظيما للمقبور شرك بالله تعالى.

إلى كل حاج عايش وحدة المسلمين في المشاعر لا تفرق جماعة المسلمين، وليسعك ما وسع سلفك الصالح، وإياك أن تتفرق في الدين.

إلى كل حاج تواضع لله تعالى وتذلل له في المشاعر، وتواضع لإخوانه المسلمين فشاركهم في لباس واحد، لا تتكبر عن عبادة ربك بعد الحج، وتواضع لإخوانك المسلمين كما كنت في الحج.

إلى كل حاج كان يحافظ على الصلوات في المسجدين، لا يكن ذلك آخر عهدك ببيوت الله، وابق على ما كنت عليه من عمارة بيوت الله.

إلى كل حاجة تزينت بالحجاب في المشاعر، لا تتبرجي بعد الحج فتُسَوِّدي صحيفة بعد تبييضها.

إلى كل حاج يرجو الله واليوم الآخر كن من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ولا تبدل تبديلا.

حرية الرأي

قال تعالى: "<u>وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ..</u>" (القصص).

قال مالك: معناها: تعيش وتأكل وتشرب غير مضيّق عليك في رأي. (أحكام القرآن لابن العربي 1483/3).

قال القاضي: أرى مالكاً أراد الرد على من يرى من الغالين في العبادة التقشف والتقصف والبأساء؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الحلوى، ويشرب العسل، ويستعمل الشواء، ويشرب الماء البارد.. (المصدر نفسه).

والمسألة التي أشار إليها مالك بقوله: "غير مضيّق عليك في رأي" هي ما يعرف اليوم بحرية الرأي، وهي من المسائل التي كثيراً ما يطنطن حولها العلمانيون المنحرفون وأصحاب البدع والمذاهب الفاسدة، لا سيما في المجتمعات الإسلامية المحافظة؛ بغية نشر فسادهم وأفكارهم حتى إذا ما تمكنوا قلبوا للحق ظهر المجن. والدين الإسلامي لا يضيق على أحد في رأي ولا غيره، في حدود ما شرع الله حتى لا تتحول الحرية إلى فوضى.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

لماذا اخترنا الملف؟

الشهوة من الأمور الفطرية التي جبلنا الله عليها، ووضعها فينا لحكم وفوائد عديدة؛ لذلك نظر الإسلام إلى الشهوة نظرة صحيحة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الله خلق فينا الشهوات واللذات لنستعين بها على كمال مصالحنا، فخلق فينا شهوة الأكل واللذة به فإن ذلك في نفسه نعمة وبه يحصل بقاء جسومنا في الدنيا، وكذلك شهوة النكاح واللذة به هو في نفسه وبه يحصل بقاء النسل.

فإذا استعين بهذه القوى على ما أمرنا؛ كان ذلك سعادة لنا في الدنيا والآخرة وكنا من الذين أنعم الله عليهم نعمة مطلقة.

وإن استعملنا الشهوات فيما حظره علينا بأكل الخبائث في نفسها، أو كسبها كالمظالم أو بالإسراف فيها، أو تعدينا أزواجنا أو ما ملكت أيماننا؛ كنَّا ظالمين معتدين غير شاكرين لنعمته".

فلكي تكون العلاقة الجنسية طبيعية ومقبولة يجب أن تنشأ بين الذكر والأنثى، في إطار ما أحله الله تعالى، وكل محاولة لإخراجها عن هذا المسار تعتبر من قبيل الدفاع عن الانحراف المخل بثمرة الغريزة الجنسية، وعن تثمير هذه العلاقة فيما لا يحقق نتائجها، إذ العقول البشرية السوية مجمعة بالقول والحال على ممارسة الغريزة الجنسية مع الأنثى المحل الطبيعي المقبول للوطء، وإذا وجدنا في القدم والعصر الحديث من ينادي بمجاوزة الأنثى إلى الذكر في الممارسة الجنسية؛ فإن ذلك لن يطعن في هذه القاعدة، وإنما هو في حصيلته النهائية سلوك شاذ ومرفوض، بدليل استنكاف الغالبية من الناس عنه، واعتباره أمرا يخالف الفطرة أولا والغاية من الجنس ثانيا، ويمثل اعتداء على حقوق المرأة ثالثا.

لقد قص الله عز وجل علينا قصة قوم لوط، تحذيرا إلى من يسعى إلى تغيير سنته سبحانه في خلقه، فإن قصة لوط عليه الصلاة والسلام وما انتهت إليه من عذاب شديد في هذه الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد، عبرة ودرسا للعالمين بعامة وللأمة الإسلامية بخاصة، ولشبابها على وجه أخص، حتى يسلكوا في تصريف شهوتهم الجنسية المسلك الشرعي الطبيعي الذي فطر الله عز وجل الناس عليه.

لقد استفاضت مؤتمرات الأمم المتحدة في طرق قضايا الحرية الجنسية وأسرفت في الدعوة إلى الإباحية الجنسية، وتفننت في تسميتها بغير اسمها، فعملت عبر مؤتمراتها على تطبيع زواج الجنس الواحد، والمعاشرة من دون زواج، وفصل الزواج عن الإنجاب وعن الجنس.

فتبعها أبواقها من العلمانيين بالدعوة والترويج إلى هذا السلوك المشين الذي يغضب رب العالمين، ويتجاوز حقوق الآدميين، بالسعي الحثيث وراء تمتيع هؤلاء المنتكسين بحقوقهم زعموا، والاحتفاء بهم، حيث استضافت القناة الثانية 2M الشاذ "عبد الله الطايع"، وكان من بين ضيوف مهرجان السينما بمراكش المتحول جنسيا "نور"، ولا ننسى الاحتفاء الكبير الذي حظي به الشواذ عبر المجلات والجرائد العلمانية، إثر حادث القصر الكبير.

"إن المخطط الخطير للشذوذ الجنسي لا يتجلى فقط في قبول أو رفض هذا الانحراف، بل هو في عمقه ضرب هوية الأمة الإسلامية في انتمائها، بمحو الشريعة والحدود الإلهية، بل هو مخطط لقتل الثقة في الله وفي القرآن، بمعنى أن قبول الشذوذ الجنسي على المستوى الاجتماعي والقانوني يقتضي خلق صراع نفسي بين الحدود الإلهية والقوانين الوضعية، هذا الصراع يؤدي إلى مرض الأمة في حالة عدم تغلبها على هذا الصراع.

..إن القبول بفكرة الشذوذ الجنسي كظاهرة في العالم الإسلامي هو في الأساس خلق بلبلة في العقيدة، إذ لا يمكن الجمع بين هذا وذاك، فالغاية من قبول الانحراف الجنسي هو تعطيل للقرآن والسنة وخدمة للفكر العلماني.." (السلوك المنحرف والمرجعية الفكرية، لطفي الحضري).

وحتى نقرب للقارئ الكريم الصورة الحقيقية للمطالب العلمانية بإقرار الشذوذ في المغرب، ومحاولتهم تغييب النظرة الشرعية الناجعة لمحاربة هذه الظاهرة، ارتأت جريدة السبيل فتح ملف في الموضوع.

اللواط جريمة شنيعة وفعلة قبيحة لا يفعلها إلا من انطمست بصيرته، واسودت سريرته، وانقلبت فطرته التي فطر الله الناس عليها

جمع الملف وأعده: نبيل غزال

جريمة اللواط من أشنع الجرائم وأقبحها واقترافها يدل على انحراف في الفطرة وفساد في العقل وشذوذ في النفس، فإن الجاهلية الأولى التي يضرب بها المثال السيئ في الحكم والعادات والتقاليد والمظاهر الاجتماعية، كانت تعتبر اللواط معرَّة، فكانوا يقولون في الذم (فلان مصفر إسته) كناية عن أنه يلاط به، بل لم يكونوا يعرفون هذه الفاحشة من قبل في جاهليتهم ولم يؤثر عنهم مطلقاً أن أشاروا إليها فيما تركوه من شعر أو نثر، حتى إنهم ما تغزلوا في الأَمَارِد والذكران في جاهليتهم، وإنمَا تسرب إليهم هذا النوع من الغزل مع نهاية القرن الثاني الهجري وبداية الثالث، متأثرين في ذلك بالفرس والأتراك، أما قبل ذلك فما كان غزلهم إلا بالنساء ومع ذلك فإن الله عز وجل لفت نظرهم إلى خطورة هذه الفاحشة.

اللواط لغة

"لفظ لَوَطَ في لسان العرب يحمل على معنى الحب والإلصاق والإلزاق، وقد أجمع العلماء على إطلاقها من غير خلاف يُعرف، فالفقهاء يعقدون أحكام اللواط واللوطية في مصنفاتهم الفقهية، والمفسرون في كتب التفسير، والمحدثون في شروح السنة، واللغويون في كتب اللغة، وقد اختلفت تراجم المحدثين فالترمذي مثلا قال: "باب ما جاء في حد اللوطي" وأبو داود وابن ماجه، قالا : "باب فيمن عمل عمل قوم لوط"، ومنه هنا: عمل قوم لوط: لوطي، ويراد به النسبة إلى نهيه، لا إلى لوط عليه السلام، ومحال أن يخطر ببال أحد سوء في حق نبي الله لوط عليه السلام، ولعل من آثار هذه النسبة أنك لا تجد في الأعلام من اسمه لوط إلا على ندرة ، فهذا مثلا "سير أعلام النبلاء" ليس فيه من اسمُه لوط سوى واحد: أبو مخنف لوط بن يحي.

ولهذا فلا تلتفت إلى ما قاله بعض من كتب في قصص الأنبياء عليهم السلام من أهل عصرنا، فأنكر هذه اللفظة: "اللواط" وبنى إنكاره على غلط وقع فيه في بيان الحقيقة اللغوية لمعنى "لاط" وأن مبناها على الإصلاح، فإن الحال كما تقدم من أن مبناها على الحب والإلزاق والإلصاق، وقد يكون هذا إصلاحا وقد يكون إفسادا، حسب كل فعل وباعثه، والله أعلم" .(معجم المناهي اللفظية: للشيخ بكر أبو زيد).

ومعنى اللواط باختصار: أن ينكح الرجل الرجل، ويأتي الذكر الذكر، كما قال تعالى عن قوم لوط: "أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ" الشعراء، وسميت باللواط نسبة إلى قوم لوط عليه السلام، الذين ظهرت فيهم هذه الفعلة الشنيعة التي لا يفعلها إلا من انطمست بصيرته، واسودت سريرته، وانقلبت فطرته التي فطر الله الناس عليها، وصار مثله كمثل من آتاه الله ورزقه لحما طيبا نضيجا شهيا، فصار يعرض عنه ويبحث عن اللحم النيئ المنتن العفن ويأكل منه، ورضي لنفسه أن يغوص في أوحال القذر والوسخ، حقا إنها الفطرة المنكوسة، والطبيعة المعكوسة، والنفس الشريرة الخبيثة، ثم إن المفعول به هذه الفعلة الحقيرة قد حصَّل من المفاسد ما يفوق الحصر والتعداد، قال ابن القيم رحمه الله: "ولأن يُقتل المفعول به خير له من أن يؤتى (يلاط به) فإنه يفسد فسادا لا يرجى بعده صلاح أبدا، ويذهب خيره كله، وتمص الأرض ماء الحياء من وجهه، فلا يستحيي بعد ذلك من الله ولا من خلقه، وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعمل السم في البدن" اهـ.

إن أي علاقة بين الرجل والمرأة خارج الإطار الشرعي هي زنا، فالعلاقة بين الرجل والمرأة إذن نداء الفطرة بينهما، وهي إما مصرفة في حلال وإما في حرام، لكن أن تكون بين الرجل والرجل، بين الذكر والذكر، فهذا غير وارد على الفطرة أصلا، لأنه ليس في الفطرة ولا الغريزة ميل الرجل إلى الرجل، فحين يحدث شيء من هذا فهو التجاوز لحدود الفطرة وحدود الطبيعة البشرية، ومن ثم التجاوز لحدود الواحد الأحد "مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ" (الأعراف).

ومما يهول أمر تلك الفاحشة ما أخرجه ابن أبي الدنيا وغيره عن مجاهد رحمه الله: "أن الذي يعمل ذلك العمل لو اغتسل بكل قطرة من السماء، وكل قطرة من الأرض، لم يزل نجسا".

وعن الفضيل بن عياض قال: "لو أن لوطيا اغتسل بكل قطرة من السماء لقي الله غير طاهر" إسناده حسن، أي أن الماء لا يزيل عنه ذلك الإثم العظيم الذي أبعده عن ربه، والمقصود تهويل أمر تلك الفاحشة.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

غض البصر وحفظ الفرج حصن منيع أمام موجة الفتن والشهوات العاصفة التي نعيشها في زمننا

قال الله عز و جل: "**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ، إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**" النور.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين: "أمر الله جل وعلا المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج، ويدخل في حفظ الفرج: حفظه من الزنى واللواط والمساحقة، وحفظه من الإبداء للناس والانكشاف لهم". (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 126/6).

ولشيخ الإسلام تفصيل في المراد بغض البصر، قال رحمه الله تعالى: "والله سبحانه قد أمر في كتابه بغض البصر، وهو نوعان: غض البصر عن العورة وغضه عن محل الشهوة.

فالأول: كغض الرجل بصره عن عورة غيره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة"، ويجب على الإنسان أن يستر عورته كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية بن حيدة: "احْفَظْ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك"، قلت: "فإذا كان أحدنا مع قومه"، قال صلى الله عليه و سلم: "إن استطعت أن لا تُرِيَها أحداً فلا يَرَيَنها"، قلت: "فإذَا كان أحدنا خالياً"، قال صلى الله عليه وسلم: "فالله أحق أن يُستحيَا منه".

وأما **النوع الثاني:** من النظر، كالنظر إلى الزينة الباطنة من المرأة الأجنبية، فهذا أشد من الأول، كما أن الخمر أشد من الميتة والدم ولحم الخنزير، وعلى صاحبها الحد، وتلك المحرمات إذا تناولها مستحلاً لها، كان عليه التعزير، لأن هذه المحرمات لا تشتهيها النفوس كما تشتهي الخمر، وكذلك النظر إلى عورة الرجل، لا تُشتهى كما يُشتهَى النظر إلى النساء ونَحْوِهِنَّ، وكذلك النظر إلى الأمْرِدِ بشهوة، هو من هذا الباب، وقد اتفق العلماء على تحريم ذلك، كما اتفقوا على تحريم النظر إلى الأجنبية وذوات المحارم بشهوة". (الفتاوى 144/15-154)، ثم قال رحمه الله بعد تفصيل: "..وكل قسم من هذه الأقسام، من كان معه شهوة، كان حراماً بلا ريب، سواء كانت شهوة تمتُّع بالنظر، أو كان نظرا بشهوة الوطء، وفرقٌ بين ما يجده الإنسان عند نظره إلى الأشجار والأزهار وما يجده عند نظره إلى النساء والمردان" (الفتاوى 154/17).

إن التمسك بغرز الآيتين الكريمتين والعمل بهما حصن منيع أمام موجة الفتن والشهوات العاصفة التي نعيشها في زمننا، فعصرنا هذا هو عصر الصورة بامتياز، صور ملأت الصحف والمجلات والملصقات الإشهارية والكتب، أما القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت فإن الأمر أدهى وأمرُّ، ولذلك تعرض كل المظاهر الحيوانية في الإنسان ابتداء من الوصلات الإشهارية وانتهاء بالأشرطة الخليعة التي تتقزز منها النفوس السوية، والفطر السليمة، ومروراً بالمسلسلات والأفلام، والتي لا تترك مستوراً في الإنسان ذكرا كان أو أنثى إلا كشفته وعرَّته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فإن الحمل على الشباب المعاصر أثقل مما كان عليه في العصور الخالية، وفي العقود القريبة، ولذلك فهو أولى بمجاهدة النفس وطرد الوساوس والهواجس، بكف البصر وشدة مراقبة الله تبارك وتعالى في السر والعلن.

طرق تصريف الشهوة في الإسلام

الشهوة شيء لا يمكن وسمه بالسوء مطلقًا ولا الحسن مطلقًا

"يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا، إن "فرويد" منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس كيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرضاء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه"! (بروتوكولات "حكماء" صهيون)

الشهوة من الأمور الفطرية التي جبلنا الله عليها ووضعها فينا لحكم وفوائد عديدة؛ منها: حفظ النسل، وتحقيق المتعة للرجال والنساء، وغيرها من الفوائد، لذلك نظر الإسلام إلى الشهوة نظرة صحيحة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الله خلق فينا الشهوات واللذات **لنستعين بها على كمال مصالحنا**، فخلق فينا شهوة الأكل واللذة به فإن ذلك في نفسه نعمة وبه يحصل بقاء جسومنا في الدنيا، **وكذلك شهوة النكاح واللذة به هو في نفسه وبه يحصل بقاء النسل**.

فإذا استعين بهذه القوى على ما أمرنا؛ كان ذلك سعادة لنا في الدنيا والآخرة وكنا من الذين أنعم الله عليهم نعمة مطلقة، وإن استعملنا الشهوات فيما حظره علينا بأكل الخبائث في نفسها، أو كسبها كالمظالم أو بالإسراف فيها، أو **تعدينا أزواجنا أو ما ملكت أيماننا**؛ كنَّا ظالمين معتدين غير شاكرين لنعمته".

إن نظرة الغرب للحرية في طرق تصريف الشهوة بعيدًا عن الضوابط الدينية والخلقية، أمر يخدم ما تهدف إليه بروتوكولات "حكماء" صهيون حيث جاء فيها: "يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا، **إن "فرويد" منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس كيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرضاء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه**"!

هذه النظرة هي النظرة السائدة الآن في الغرب المنحل أخلاقيا، والتي يحاول العلمانيون من بني جلدتنا الترويج لها ليل نهار عن طريق كافة الوسائل المتاحة.

إن النظرة المتوازنة للشهوة هي الأصل في الإسلام؛ لأن **الشهوة شيء لا يمكن وسمه بالسوء مطلقًا ولا الحسن مطلقًا**، بل تختلف من شخص لآخر حسب تعامله معها، لكن الخلل تولَّد من جانبنا نحن، عندما ضخمنا المشكلة فوق حجمها الطبيعي الذي ينبغي أن تأخذه؛ حتى غطت على جميع المشكلات الأخرى، وبالتالي عاش داخلها الشباب والفتيات وشغلت عقولهم وتفكيرهم، ولو أننا نظرنا إليها كما نظر إليها سلفنا الصالح بوسطية واعتدال؛ لانكشفت الحقيقة، وذهبت الحيرة، وزال الخوف منها في الحال.

إن الإسلام -وهو دين الفطرة- لم يقع في شَرَك الاقتصار على مخاطبة الروح وبنائها، بل اهتم بتغذية المادة، وأعطى لقبضة الطين حقها كما أعطى لنفخة الروح حقها، فلم يأتِ الإسلام ويقُل للناس: ترهبنوا، ودَعُوكم من التفكير في أمور الشهوة، ولم يصفها بأنها من الدنس، بل على العكس، هي من النعم بلا شك، كل ما في الأمر أن يهتدي المرء إلى الطريق الذي به يستفيد منها، وينجو من خلاله من الشقاء بها، بل أكثر من ذلك فقد جعل الإسلام في قضاء الإنسان وطره أجرا وصدقة، قال صلى الله عليه وسلم: "..**في بضع أحدكم صدقة قالوا: يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**" رواه مسلم.

فالله عز وجل خلق الشهوة الجنسية من أجل اللذة والمنفعة، لذة الإنسان بقضاء وطره، ومنفعة بالحفاظ على النسل لاستمرار الجنس البشري في الأرض لعبادة الله جل وعلا، لذلك فإن ابتغاء اللذة دون المنفعة خروج عن الفطرة السوية وسقوط في الانحراف والشذوذ الجنسي الذي يصادم الحياة ويعدمها، لأنه "يُذهِب بذورها في تربة خبيثة لم تُعَدَّ لاستقبالها وإحيائها، بدلاً من الذهاب بها إلى التربة المستعدة لتلقيها وإنمائها، ومن أجل هذا تنفر الفطرة السليمة نفوراً فطرياً -لا أخلاقياً فحسب- من عمل قوم لوط، لأن هذه الفطرة محكومة بقانون الله في الحياة، الذي يجعل اللذة الطبيعية السليمة فيما يساعد على إنماء الحياة لا فيما يصدمها ويعطلها".

وللأسف الشديد، فتربيتنا حتَّمت علينا بعض التصورات عن الشهوة، ورسختها في عقولنا؛ فأدت إلى حالة من حالات الغموض والقلق والتخبط، الذي يجعل من الشاب أسير تصورات خاطئة حول الدافع الجنسي عمومًا، ووظيفته الاجتماعية، ومظاهره الفسيولوجية، التي تبدأ بالظهور لدى الشاب منذ مرحلة المراهقة.

هذه التصورات الخاطئة أدت إلى تضخيم المشكلة، وإعطائها حجم أكبر من حجمها الطبيعي؛ ومن ثم تأصيلها في واقع الشباب المحاط بالفتن من كل ناحية.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

قصة نبي الله لوط عليه السلام مع قومه

"..تركناها عبرة لمن خاف عذاب الآخرة وخشي الرحمن بالغيب، وخاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، فانزجر عن محارم الله، وترك معاصيه، وخاف أن يشابه قوم لوط، ومن تشبه بقوم فهو منهم" (ابن كثير).

"وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ، قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ، وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ، إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ، وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"

بعث الله تعالى نبيه لوط عليه الصلاة والسلام في فترة بعثة عمه نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى: "فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" العنكبوت، فاستقر به المقام في الخليل مع عمه، ثم نزح لوط إلى مدينة سدوم في نطاق غور الأردن اليوم، وكانت هذه القرية تقوم بأعمال قبيحة وعادات منكرة تتنافى مع الفطرة السليمة.

وقد ارتكبوا جريمة الشذوذ الجنسي وهي إتيان الذكور من دون النساء، قال تعالى: "وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ، وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" (الأعراف).

لقد استهل لوط عليه السلام دعوته في قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأمرهم بترك الفواحش والمنكرات فلما ألح عليهم مغبة استمرارهم في هذا الطريق المعوج كان جوابهم كما أخبر تعالى: "..لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ" الشعراء، كما قرروا طرده بعد أن استشاطوا غضباً من دعوته، قال تعالى: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" النمل.

لقد ساء قوم لوط طهرُ لوط عليه السلام ومن آمن معه، وإنكاره عليهم إتيانهم المنكرات والفواحش، والرجال شهوة من دون النساء، فما كان جوابهم عليه وعلى دعوته ونصيحته لهم إلا بالطرد والإخراج من قريتهم ومجتمعاتهم، متعللين بأنه ومن معه من المؤمنين يتطهرون ولا يقترفون الفواحش والمنكرات، وهذا يُسبب لهم الأذى والحرج الشديدين.

وحينما أراد الله سبحانه اجتثاث أصحاب الطباع السيئة والعادات القبيحة من على هذه الأرض.. أرسل إليهم الملائكة ليقلبوا ديارهم رأساً على عقب، فمروا في طريقهم على إبراهيم الخليل فبشروه بغلام حليم، وأخبروه أنهم ذاهبون إلى قوم لوط، أهل سدوم وعمورة، وأن الله قد أمرهم بذلك لإهلاك جميع أهل القرى الذين كانوا يعملون الخبائث.

فتخوف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام على ابن أخيه لوط إذا قلبت بهم الأرض أن يكون ضمن الهالكين فأخذ يناقشهم ويجادلهم وقال لهم: إن فيهم لوطاً، فأخبروه بأن الله سينجيه وأهله ومن معه من المؤمنين من العذاب الذي سيحل على قوم لوط العصاة، قال تعالى: "وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ، قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ، وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ، إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ، وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" العنكبوت.

قال ابن كثير رحمه الله في التفسير: "..إن الله بعث لوطاً عليه السلام إلى قومه فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلاً ونهاراً، ولهذا قال تعالى: "وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"، أي أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها"

إن البقعة التي أصابها العذاب الأليم هي البقعة التي تعرف اليوم بالبحر الميت أو بحيرة لوط عليه السلام، ويرى بعض العلماء أن البحر الميت لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث، وإنما حدث من الزلزال الذي جعل عالي البلاد سافلها وصارت أخفض من سطح البحر بنحو 392م، وقد اكتشف الأثريون شيئاً من هذه المدن المنكوبة على حافة البحر الميت.

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: "وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ": "يعني قوم لوط، أي لم تكن تخطئهم، وقال مجاهد: يرهب قريشاً؛ المعنى: **ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد**، وقال قتادة وعكرمة: يعني ظالمي هذه الأمة". (تفسير القرطبي).

قال تعالى: "إِنَّ لُوطاً لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ، ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ، وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" الصافات.

قال ابن كثير رحمه الله في التفسير: "..إن الله بعث لوطاً عليه السلام إلى قومه فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيلٍ مقيم يمر بها المسافرون ليلاً ونهاراً، ولهذا قال تعالى: "وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"، أي أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها".

والملاحظ أن الله عز وجل كلما ذكر قصة لوط عليه السلام، ختمها إما بالوعيد، أو بالدعوة إلى أخذ العبرة من القصة والتدبر فيها إمعاناً منه جل وعلا في التنفير من هذه الفاحشة ومن اقترافها على أي وجه من الوجوه، قال تعالى: "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً، **فَسَاءَ** مَطَرُ الْمُنذَرِينَ" النمل، وقال تعالى: "ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ، وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ، **أفلا تعقلون**" الصافات، وقال تعالى: "وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ، فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ، وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ **فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**" القمر.

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: "وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ": "يعني قوم لوط، أي لم تكن تخطئهم، وقال مجاهد: يرهب قريشاً؛ المعنى: **ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد**، وقال قتادة وعكرمة: يعني ظالمي هذه الأمة" .(تفسير القرطبي).

وذهب ابن كثير إلى سحب هذه الآية الكريمة "وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" على الأمة الإسلامية كلها إلى يوم القيامة، فقال: "أي تركناها عبرة لمن خاف عذاب الآخرة وخشي الرحمن بالغيب، وخاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، فانزجر عن محارم الله، وترك معاصيه، وخاف أن يشابه قوم لوط، **ومن تشبه بقوم فهو منهم**" (قصص الأنبياء لابن كثير).

وبالجملة، فإن قصة لوط عليه الصلاة والسلام وما انتهت إليه من عذاب شديد في هذه الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد، عبرة ودرسا للعالمين بعامة وللأمة الإسلامية بخاصة، ولشبابها على وجه أخص، حتى يسلكوا في تصريف شهوتهم الجنسية المسلك الشرعي الطبيعي الذي فطر الله عز وجل الناس عليه.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

الإجابات القرآنية عن بعض الأسئلة والشبهات والدعاوى التي أثارها العلمانيون المدافعون عن ظاهرة الشذوذ الجنسي

من دعاوى أصحاب هذا الانحراف أن ميلهم هذا أمر ولدوا به فهو في "جيناتهم وطبعهم، لكن الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما خلق يُكَذب هذا، إذ أخبرنا سبحانه وتعالى بأن قوم لوط كانوا أول من اخترع هذه الفاحشة، **"أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ؟ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ"**.

فلو كانت أمراً "طبيعياً" لما ذمهم الله تعالى على فعله، لكن العلمانيين عن سوء قصد ونية يستغلون وجود الخنثى من الرجال والمسترجلات من النساء ليسوغوا ما اعتبره الشرع جريمة رتب الله عليها حدا من الحدود، مستعينين في ذلك بحقائق علمية مقطوع بعدم صحتها ونزاهتها.

الشاذون جنسيا يريدون اليوم الانتقال من مرحلة الاستخفاء بهذا الأمر إلى مرحلة المجاهرة به، فكذلك فعل قوم لوط: **"..وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ"** إن كل ما يطالب به أصحاب هذا الميل اليوم هو أن لا يضطرهم المجتمع للاستخفاء بأمرهم، وأن يعدهم رغم مجاهرتهم بحالهم أناساً عاديين أسوياء، لهم ما لغيرهم من الناس في المجتمع من حقوق الزواج والاحترام، والعمل في كل مرافق الدولة العسكرية والسياسية والتعليمية والدبلوماسية.

يقول بعضهم: لماذا تتدخلون في أمر أفعله في غرفة نومي؟

ما الفرق بين أن يفعل الإنسان هذه الفعلة مع شكله، رجلاً كان أو امرأة، أو أن يفعله مع الشكل الآخر؟ إنه محض تعصب لأمر موروث.

إن حقيقة ما يطالب به الشواذ وأبواق العلمانية ليس أن يفعلوا ما يفعلونه سراً وفي غرف نومهم، فإن ما يفعلونه سراً أمر لا يحتاج إلى إذن، وإنما ما يطالبون به الآن هو أن يسمح لهم بأن يعلنوا أنهم من هذا الصنف، بل أن لا يعترض المجتمع على سلوكهم المعلن الذي يدلُّ على هذا الانحراف.

إن المجاهرة بالفواحش أشد نكراً من الاستتار بها لأنه يسيئ إلى الأسوياء من الناس، ولأنه يغري الضعفاء منهم بارتكاب ما يرتكبه هؤلاء المجاهرون.

كان حال قوم لوط -كما قصه علينا ربنا- يدلنا على أنه حتى هذا الاستعلان ليس هو نهاية الطريق، وإنما هو مرحلة أولى، تليها -إذا لم يجدوا من يردعهم- مرحلة الاستعلاء.

وإذا صار المنحرفون هم الأعلون في المجتمع ضاقوا بالصالحين من الناس، ولم يسمحوا لهم بأن يشاركوهم السكن في بلد واحد، قال شواذ قوم لوط كما حكاه ربنا عز وجل: **"فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا <u>أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ</u> إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ"**.

بل إنهم سيذهبون إلى أبعد من هذا: سيتواطئون على إذلال بعض هؤلاء الصالحين بارتكاب هذه الفاحشة معهم قسراً، إن هم استطاعوا ذلك.

فهذا رسول الله لوط عليه السلام لما جاءته الملائكة في صور رجال حسان الوجوه، اكتأب لمجيئهم لأنه ظنهم رجالاً حقيقيين، ولأنه كان يعلم ما سيحدث لهم من قومه الشواذ، وقد حدث ما توقع، فإنه ما إن تسامع بهم قومه حتى جاؤوا يلهثون مسرعين، فعرض عليهم لوط أن يتزوجوا بناته – إما بناته من صلبه أو بناته بمعنى بنات قومه- وأن لا يحرجوه ويخزوه مع ضيوفه:

"وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ، وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ"؟ لكنهم أجابوه في صفاقة **"قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ"** أي من حاجة **"وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ"**، **"قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ"**.

إن أصحاب الشذوذ الجنسي يطالبون اليوم بأن يعد القانون علاقة أحدهما بالآخر علاقة زواج، وأن يعطيهم كل الحقوق التي يعطيها للمتزوجين، لكن الذي نعرفه من حال قوم لوط أن هذه الفاحشة من طبيعتها الإباحية المطلقة عدم التقيد بقرين واحد، أو عدد محدود من القرناء، بل إن أحدهم إذا استمكن منه هذا الانحراف لا يعود يعرف لممارسته حد، إنه حين يسمع بما يثير شهوته يصيبه نوع من الجنون، فيندفع لارتكابها مع أي إنسان رضي بذلك أم لم يرض، وتأمل قوله تعالى في وصف حالهم وهم مقبلون على أضياف لوط عليه السلام **"وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ"** أي يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة، إنها فاحشة من طبيعتها الإسراف ومجاوزة الحد:

"إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ"

فأصحابها لا يكتفون بممارستها ممارسة فردية، بل إن متعتهم بها لا تتم إلا إذا تعاطوها تعاطياً جماعياً، وهذا حاصل في البلاد التي قننت الشذوذ واعترفت به.

نسأل الله السلامة والعافية ونسأله تعالى أن يجعل المغرب بلدا آمنا سالما من هذه البلايا والرزايا التي يجرنا إليها بنو علمان جرا.

العلم الحديث والشذوذ الجنسي

الشذوذ الجنسي: هل مرجعه إلى الهرمونات والمؤثرات البيئية أم هو سلوك منحرف؟

ما زال العلم الحديث يتخبط في محاولة لمعرفة ماهيّة هذا السلوك المنحرف من انجذاب بين طرفين، ويعتقد الكثيرون في الغرب أن موقف العلم موحّد وواضح؛ بسبب عرض وسائل الإعلام لبعض الأنواع من الأبحاث العلمية التي قد تُظهر بعد قراءة سطحية لها أن الشذوذ الجنسي ما هو إلا تنوع طبيعي للاتجاه الجنسي، إلا أن تلك الوسائل لا تُظهر في الوقت نفسه انتقادات العلماء لتلك الأبحاث، ولا الأبحاث التي تثبت غير ذلك، وهذا الموقف لوسائل الإعلام ما هو إلا جزء من تلك الثقافة الحالية وتخوّف شديد من هجوم جمعيات حقوق الإنسان وجمعيات الشواذ جنسيًا، والتي أصبح لها في الوقت الحالي ثقل سياسي كبير في الغرب.

قبل عام 1973 كان الشذوذ الجنسي مُدرجًا في قائمة الاضطرابات النفسية في الكتيّب التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية "Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders"، والذي يُعتبر المصدر الرئيسي لتشخيص الاضطرابات النفسية في أمريكا وفي أغلب دول العالم، إلا أن ضغوط جمعيات الشواذ جنسيا قد تسببت في تشكيل لجنة لمراجعة موقف الكتيّب من الشذوذ الجنسي، وكانت تلك اللجنة خالية تمامًا من أي عالم معتقد بأن الشذوذ الجنسي اضطراب نفسي، وقررت اللجنة بسرعة لم يسبق لها مثيل في مثل هذه الحالات وبتعدّي الكثير من القنوات الشرعية المعتادة حذف الشذوذ الجنسي كاضطراب نفسي من الكتيب التشخيصي، إلا أنها احتفظت في الكتيب بحالة تعرف بـ"ego-dystonichomosexuality" والتي تُعرف بأنها عدم رضا الشخص عن اتجاهه الجنسي، بحيث يسبب له ألما نفسيا شديدا، ولكن سرعان ما اختفى حتى ذلك التعريف من الكتيب.

ومع ذلك، فإن إحدى الإحصائيات التي تمت بعد حذف الشذوذ الجنسي من الكتيب بأربع سنوات كشفت عن اعتقاد 69% من الأطباء النفسيين بالولايات المتحدة أن الشذوذ الجنسي "تكيّف مرضي"، كما كشفت إحصائية أخرى - أحدث عمرًا- عن اعتقاد أغلب علماء النفس في العالم بأن ممارسة الشذوذ الجنسي هي علامة من علامات المرض النفسي.

<u>فروق تشريحية</u>

حتى الآن، فإن الأبحاث العلمية في هذا المجال ضعيفة جدا؛ فهناك البحث الذي قام به العالم الشاذ جنسيا "Simon LeVay" عام 1991م، والذي توصّل فيه إلى وجود فروق في حجم الجزء الأمامي لـ"هايبوثلاموس" من المخ بين الرجال الشواذ والرجال الطبيعيين، إلا أن هناك انتقادا شديدًا بين العلماء لهذا البحث بسبب طريقة عمل البحث؛ بحيث جعل العلماء

يتشككون في جدية نتائجه، كما أن عالم النفس الأمريكي "مارك بريدلوف" قام عام 1997م بنشر بحث مضاد أثبت فيه أن الممارسات الجنسية نفسها قد تُحدث تغييرات في تركيب المخ، وبالتالي فإنه لا يمكن لنا أن نفترض أن اختلافًا تشريحيًا بين الشواذ والطبيعيين هو دليل على كون الشذوذ الجنسي أمرًا موروثًا؛ حيث إننا لا نعرف ما الذي جاء بهذا الاختلاف من أصله.

الجين الشاذ

قام العالم الأمريكي "دين هايمر"، بإجراء بحث ادعى فيه: "إنه لاحظ وجود علامة جينية مميزة على"كروموسوم إك"X " لـ33 من 40 شاذًا جنسيًا قام عليهم البحث"، فتلقفت وسائل الإعلام الغربية الخبر وادّعت بذلك أنه قد اكتشف الجين الشاذ، إلا أنها لم تذكر أن لا أحد من العلماء غيره قد استطاع تكرار نفس اكتشافه على أكثر من 400 شاذ جنسيا، كما أنها لم تذكر أن "هايمر" قد سبق واتهمه أحد زملائه بأنه قد عرض نتائج بحثه بشكل انتقائي.

ثم إنّه حتى لو اتضح في يوم من الأيام أن هناك قابلية موروثة للإصابة بالشذوذ الجنسي؛ فإن ذلك لا يعني أبدًا أن الإنسان سيُصاب به حتمًا؛ فمثله في هذه الحالة مثل القابلية الموروثة للإصابة بأمراض القلب مثلا؛ فإن سلوك الإنسان نفسه هو الفيصل الأخير في كون الإنسان سيُصاب بالمرض أم لا، فإذا امتنع الإنسان عن العوامل الأخرى المساعدة مثل التدخين وتناول الأغذية الغنية بالكولسترول وعدم ممارسة الرياضة، فإنه لن يصاب بأمراض القلب، وبالتالي فإن الشذوذ الجنسي سلوك واختيار.

مؤثرات بيئية

قد يكون تقبّل المجتمع الغربي لهذا السلوك، وتشجيع الأفراد على اكتشاف نوعية انجذابهم الجنسي هو ما يدفع كثير من الشباب في سن مبكرة إلى تجربة الجنس مع نفس الجنس من باب الاستكشاف، هذا الاستكشاف حين يحدث في سن مبكرة قد يعطل تطوّر النمو الجنسي للشاب، والذي يعتقد أنه طالما قد ارتاح لهذا السلوك فلا بد أنه شاذ جنسيا، وبالتالي يقبل نفسه على ما هي عليه دون محاولة التغيير.

يقول بعض العلماء: إن كثرة استغراق الإنسان في تخيّل نفسه وهو يمارس الشذوذ الجنسي في حد ذاته قد يقنع الإنسان الموجود داخل مجتمع يتقبل هذا الأمر بأنه شاذ جنسيا بالفعل.

إن الذين يدّعون أن الشذوذ الجنسي أمر مفطور في بعض الناس، وأن مرجعه إلى بعض الهرمونات قول باطل لا دليل عليه صحيحا علما ولا شرعا، فقد عذب الله قوم لوط لما ارتكبوا هذه الفاحشة وطهر الأرض منهم فقال تعالى: "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ، مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ" هود، ونحن نعلم يقينا أن الله تعالى هو صاحب العدل المطلق، فلو كان أمر ارتكاب فاحشة اللواط لا دخل للإنسان فيه، وإنما هو أمر فطر عليه، فيستحيل على من اتصف بصفات العدل المطلق المنزه عن الظلم أن يعذب من ابتلي بداء لا دخل له فيه.

مؤتمرات الأمم المتحدة وترسيخ الشذوذ داخل المجتمعات الإسلامية

تستهدف مؤتمرات الأمم المتحدة عقيدة المسلمين ومجتمعاتهم، وتنادي بكل ما أوتيت من قوة لإفساد الأجيال الإسلامية حتى يتسنى لها السيطرة على تلك البلاد وخيراتها.

إن الأمم المتحدة لا تُراعي هوية أو خصوصيات الشعوب، لأنها تفرض رؤية واحدة من خلال التوصيات التي تعتبرها لازمة التنفيذ، وتفرضها بالقوة على كافة الشعوب على اختلاف دينهم وثقافتهم، لتطمس هويتهم وتزييف وعيهم عبر تلك المؤتمرات، بدعوى أنها تدعو إلى عقيدة كونية موحدة تنصهر فيها كل العقائد وتذوب في بوتقتها كل الهويات، يستوي فيها المؤمن والكافر والموحد والوثني.

والدول الرافضة لاتفاقيات وتوصيات الأمم المتحدة تمنع من الاستفادة من القروض والمساعدات التي تمنحها "الدول العظمى" التي تشترط في المقابل: التزام الدول الطالبة للمساعدات بهذه التوصيات، وعدم مخالفتها، وفي حين فعلت ذلك تعاقب وفقا للإجماع العالمي المتمثل في المنظمة الدولية، وبالتالي تتعرض هذه الدول لضغوط سياسية واقتصادية وإعلامية، واعتبارها دولة خارجة على القانون الدولي..

الأمم المتحدة والشذوذ

لقد استفاضت مؤتمرات الأمم المتحدة في طرق قضايا الحرية الجنسية وأسرفت في الدعوة إلى الإباحية الجنسية، وتفننت في تسميتها بغير اسمها، فظهرت مصطلحات مثل: **الجندر، المتعايشين، حقوق المثليين، الثقافة الجنسية، الصحة الإنجابية**.. ونحو ذلك، من المصطلحات التي تدعو بسفور إلى قبول الشذوذ الجنسي كممارسة مشروعة، تدخل ضمن حقوق الإنسان، وتُوفَّر لمارسيها العناية الطبية والحماية القانونية.

فعملت الأمم المتحدة عبر مؤتمراتها على تطبيع زواج الجنس الواحد، والمعاشرة من دون زواج، وفصل الزواج عن الإنجاب وعن الجنس، فالجنس موضوع، والإنجاب موضوع، والزواج موضوع، ولا علاقة بين هذه الموضوعات الثلاثة إطلاقاً، ويمكن في ظل هذه البنود أن يتم الزواج بين شخصين، قد يكون عقداً بين رجلين، أو بين امرأتين، أو زواجاً تقليدياً في نظرهم بين رجل وامرأة، وبذلك تم تقنين الشذوذ والسحاق والإباحية.

تقول الباحثة صباح عبده: "أكدت -على لسان المفوضة العامة للمرأة- "ماري روبنسون رئيس جمهورية ايرلندا السابقة" في كلمة لها أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948م هو وثيقة حية وقد اكتشفت أن هذه الوثيقة -وهذه مفاجأة المفاجآت- تضمنت في ثناياها حماية "حق التوجه الجنسي" أي الحياة المثلية، وقد التقت هذه المفوضة "روبنسون" بالحلف الدولي للشواذ وتعهدت خلاله بإعطاء كل تأييدها ودعمها لجهود هذا الحلف الذي يتمتع بالصفة الاستشارية لدى اللجنة الاجتماعية والاقتصادية في الأمم المتحدة ويُعرف باسم. (The Economic and Social Council، Ecosoc، article 7 paragraph H).

وأعلنت "ماري روبنسون" عن عزمها تعيين مراقب خاص لمتابعة المسائل المتعلقة بحقوق الشواذ ومنها حق الزواج من نفس الجنس، ومكافحة القوانين المضادة للشذوذ الجنسي، وأكدت تصميمها على حث لجنة حقوق الإنسان للإعلان عن أن كل تفرقة على أساس السلوك الجنسي عمل غير قانوني.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل في مؤتمر "روما" لإنشاء المحكمة الجنائية الدولية، والذي عقد في عام 1998م، حاول المؤتمرون إصدار توصيات مُلزمة على المستوى الدولي بتجريم القوانين التي تعاقب على الشذوذ الجنسي، فورد ما معناه: "أن كل تفرقة أو عقاب على أساس "الجندر" تشكل جريمة ضد الإنسانية".

وقد علقت سابقا رئيسة اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفولة "كاميليا حلمي" والتي شاركت في مؤتمر المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة على برنامج منتدى التجاوب مع السيدا بالقول: "إن سياسة (التطبيع مع الشواذ) واحتضانهم التي تدعو إليها الأمم المتحدة تعارضها بشدة الشعوب المتأصل فيها الدين، وأن ممثلي الأمم المتحدة رأوا أن المانع الرئيس من تطبيق هذه السياسات، هو تدين هذه الشعوب، واتباع الناس للعلماء، فركزوا بالتالي على العلماء، باعتبارهم الأداة التي من خلالها سيحاولون تغيير تلك الثقافات، عن طريق ليّ عنق المصطلحات والألفاظ، وترجمتها بالعربية بشكل مغاير لمعناها الحقيقي مثل لفظ (الشريك)، وتعويد الآذان على هذه الألفاظ وعدم إنكار الإباحية والشذوذ!"

وقد عقد مؤخرا من 2/26 إلى 2007/3/9م، الاجتماع 51 للجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة، وشاركت فيه "اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل"، حيث عرضت وجهة النظر الإسلامية في الأطروحات الإباحية، التي يراد نشرها وفرضها على البلاد والمجتمعات الإسلامية.

وقد حذرت اللجنة الإسلامية من مطالب وثائق الأمم المتحدة "بالاعتراف بالشواذ، وذلك من خلال استبدال مصطلح "الجنس Sex"، والذي يعني ذكرا أو أنثى، بمصطلح "الجندر بمعنى النوع Gender"، والذي يشمل الذكر والأنثى والشاذ والشاذة ..الخ".

إن خطط دعاة الرذيلة والساعين لهدم الأسرة المسلمة مستمرة، وهم يفكرون ويفتشون في كل مرة عن مدخل للتغلغل من خلاله إلى عقول المسلمين لتغيير أفكارهم وثوابتهم الدينية.. ومازالت المعركة مستمرة!

ولسنا في حاجة أن نأكد أن العلمانيين في الدول الإسلامية ومنها المغرب يعتقدون اعتقادا جازما فيما تنصُّ عليه وثائق الأمم المتحدة، ويطالبون دولهم بالمصادقة عليها وبتنفيذ توصياتها دون أية تحفظات، مما يجعل المعركة معهم مفتوحة على مصراعيها ويفرض على العلماء أن يأخذوا موقعهم في التصدي لهذا الفكر الأممي المنحرف والمخالف من كل النواحي لما جاءت به الشريعة الإسلامية.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

opie de assabil 30 5/03/08 19:24 Page 26

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

حكم جريمة اللواط
والوعيد الذي نصت عليه شريعتنا السمحاء بحق مرتكبيها

"..وما أحق مرتكب هذه الجريمة ومقارف هذه الرذيلة الذميمة بأن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين، ويعذب تعذيبا يكسر شهوة الفسقة المتمردين، فحقيق بمن أتى بفاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يَصْلَى من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشبها لعقوبتهم، وقد خسف الله تعالى بهم واستأصل بذلك العذاب بِكرهم وثيبهم" (الشوكاني).

بداية ننبه إلى أن تنفيذ حكم مرتكب اللواط الذي سيذكر في هذا المقال هو من اختصاصات ولي الأمر أو من ينيبه، وليس لآحاد الناس أن يقوم بتطبيق هذا الحكم الشرعي لما في ذلك من الفوضى المفضية لكثرة الهرج، وتنبيهنا هذا كما هي عادتنا ليس خوفا من أن ننعت بترويج ثقافة الانغلاق والدعوة إلى سفك الدماء فهذه تهم باتت تلصق بكل من يدعو أو يذكر بحكم شرعي تضمنته كتب الفقه والحديث التي تطبعها وزارة الأوقاف، وما زال المغاربة يدرسونها في مساجدهم ومعاهدهم الدينية ولكن العلمانيين لا يفقهون.

فبالنظر إلى شناعة هذه الجريمة وقبحها وخطورتها عاقب الله مرتكبيها بأربعة أنواع من العقوبات لم يجمعها على قوم غيرهم وهي أنه:

- **طمس أعينهم.**
- **وجعل عاليها سافلها.**
- **وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود.**
- **وأرسل عليهم الصيحة.**

وفي شريعتنا صار القتل بالسيف على الراجح هو عقوبة الفاعل والمفعول به إذا كان عن رضا واختيار، فعن ابن عباس مرفوعًا: "**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**" (رواه الإمام أحمد 300/1 وهو في صحيح الجامع 6565)، قال الشيخ بكر أبو زيد تعليقاً على هذا الحديث: "ووجه الدلالة من هذا الحديث نصيةٌ على قتل الفاعل والمفعول به، وليس فيه تفصيل لمن أحصن أو لم يحصن، فدلَّ بعمومه على قتله مطلقاً".

وفعل قوم لوط من كبائر الذنوب التي ذمها الله تعالى في كتبه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد قال تعالى: "وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ"، وقال صلى الله عليه وسلم: "**لعن الله من عَمِل عمل قوم لوط، لعن الله من عَمِل عمل قوم لوط، لعن الله من عَمِل عمل قوم لوط، قالها ثلاثاً**" (أخرجه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر، وكذا الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب).

قال الشوكاني رحمه الله تعالى في نيل الأوطار، باب الحدود: "وما أحق مرتكب هذه الجريمة ومقارف هذه الرذيلة الذميمة بأن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين، ويعذب تعذيبا يكسر شهوة الفسقة المتمردين، فحقيق بمن أتى بفاحشة قومٍ ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يَصْلَى من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشبها لعقوبتهم، وقد خسف الله تعالى بهم واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيبهم" اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عن قوم لوط:

"ولم يبتل الله تعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوطٍ أحداً من العالمين، وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أمَّة غيرهم، وجمع عليهم أنواعاً من العقوبات: من **الإهلاك، وقلب ديارهم عليهم، والخسف بهم، ورجمهم بالحجارة من السماء، وطمس أعينهم**، وعذبهم، وجعل عذابهم مستمراً، فنكل بهم نكالاً لم ينكله بأمَّة سواهم، وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة، التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عُملت عليها، وتهرب الملائكة إلى أقطار السموات والأرض إذا شهدوها خشية نزول العذاب على أهلها فيصيبهم معهم، وتعج الأرض إلى ربها تبارك وتعالى، وتكاد الجبال تزول عن أماكنها، وقتْل المفعول به خيرٌ له من وطئه، فإنه إذا وطأه الرجل قتله قتلا لا تُرجى الحياة معه، بخلاف قتله فإنه مظلوم شهيد، وربما ينتفع به في آخرته.."

"قالٍ جمهور الأمة وحكاه غير واحد إجماعاً للصحابة: ليس في المعاصي مفسدة أعظم من مفسدة اللواط، وهي تلي مفسدة الكفر، وربما كانت أعظم من مفسدة القتل.

قال الجمهور: ولم يبتل الله تعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوطٍ أحداً من العالمين، وعاقبهم عقوبة لم يعاقَب بها أمَّة غيرهم، وجمع عليهم أنواعاً من العقوبات: من **الإهلاك، وقلب ديارهم عليهم، والخسف بهم، ورجمِهم بالحجارة من السماء، وطمسٍ أعينهم**، وعذَّبهم، وجعل عذابهم مستمراً، فنكل بهم نكالاً لم ينكله بأمَّة سواهم، وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة، التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عُملت عليها، وتهرب الملائكة إلى أقطار السموات والأرض إذا شهدوها خشية نزول العذاب على أهلها فيصيبهم معهم، وتعج الأرض إلى ربها تبارك وتعالى، وتكاد الجبال تزول عن أماكنها، وقتْل المفعول به خيرٌ له من وطئه، فإنه إذا وطأه الرجل قتله قتلا لا تُرجى الحياة معه، بخلاف قتله فإنه مظلوم شهيد، وربما ينتفع به في آخرته..".

وقال رحمه الله: "..أطبق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتله، لم يختلف منهم فيه رجلان، وإنما اختلفت أقوالهم في صفة قتله، فظنَّ بعض الناس ذلك اختلافاً منهم في قتله، فحكاها مسألة نزاع بين الصحابة، وهي بينهم مسألة إجماع، ومن تأمل قوله سبحانه: "وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ **فَاحِشَةً** وَسَاءَ سَبِيلاً" الإسراء، وقوله في اللواط: "أَتَأْتُونَ **الْفَاحِشَةَ** مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ" الأعراف، تبين له تفاوت ما بينهما؛ فإنه سبحانه نكَّر الفاحشة في الزنا، أي: هو فاحشة من الفواحش، وعرَّفها في اللواط، وذلك يفيد أنه جامع لمعاني اسم الفاحشة..

ثم أكد سبحانه شأن فحشها بأنها لم يعملها أحد من العالمين قبلهم فقال: "مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ"، ثم زاد في التأكيد بأن صرَّح بما تشمئز منه القلوب، وتنبو عنها الأسماع، وتنفر منه أشد النفور، وهو إتيان الرجل رجلا مثله ينكحه كما ينكح الأنثى، فقال: "أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ"، ثم أكد سبحانه قبح ذلك بأن اللوطية عكسوا فطرة الله التي فطر عليه الرجال، وقلبوا الطبيعة التي ركَّبها الله في الذكور، وهي شهوة النساء دون الذكور، فقلبوا الأمر، وعكسوا الفطرة والطبيعة فأتوا الرجال شهوة من دون النساء، ولهذا قلب الله سبحانه عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها، وكذلك قلبهم، ونكسوا في العذاب على رؤوسهم.

ثم أكد سبحانه قبح ذلك بأن حكم عليهم بالإسراف وهو مجاوزة الحد، فقال: "بل أنتم قوم مسرفون".

فتأمل هل جاء ذلك أو قريبٌ منه في الزنا، وأكد سبحانه ذلك عليهم بقوله "وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ"، ثم أكَّد سبحانه عليهم الذم بوصفين في غاية القبح فقال: "إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ" الأنبياء، وسماهم مفسدين في قول نبيهم فقال: "قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ" العنكبوت، وسماهم ظالمين في قول الملائكة لإبراهيم عليه السلام: "إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ" العنكبوت.

فتأمل من عوقب بمثل هذه العقوبات ومن ذمه الله بمثل هذه الذمات. (الجواب الكافي 240-245 مختصراً).

فلا رحمة ولا شفقة في الضرب على أيدي اللواطيين، لأنهم جمعوا كل الصفات الشاذة التي يجب تطهير المجتمع منها؛ وهي صفات وصفهم الله عز وجل بها، وهي: "السكرة، والعَمَهُ، والجهالة، وعدم العقل، وعدم الرشد، والبغض، وطمس الأبصار، هذا مع ما وصفهم به من الخبث والفسوق والعدوان والإسراف والسوء والفحش والفساد والإجرام".

opie de assabil 30 5/03/08 19:25 Page 27

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

النظرة العلمانية لتصريف الشهوة الجنسية
هذا ما يريده بنا العلمانيون دعاة الشذوذ!

يدعو العلمانيون من خلال مقاربتهم المدحوضة إلى الأخذ بالأساليب الغربية في طرق تصريف الشهوة الجنسية، ويرون في ذلك الحل الوحيد لكل المشاكل الجنسية العالقة..

عرف الشذوذ الجنسي بوطننا في الآونة الأخيرة تطورا ملفتا للنظر، فمن فضائح السياحة الجنسية بأكادير ومراكش وغيرهما من مدننا السياحية التي ألفت أن تستفيق على جرائم قتل يرتكبها مغاربة شواذ ويذهب ضحيتها سياح أجانب، قصدوا المغرب لإشباع نزواتهم الشاذة فرجعوا إلى بلدانهم في توابيت من خشب، إلى الموسم الشركي لعلي بنحمدوش الذي يعتبر مؤتمرا سنويا للشواذ المغاربة الذين أصبحوا يطالبون بحقوقهم مما دفعهم إلى إنشاء جمعية أطلقوا عليها اسم "كيف كيف" أسوة بتنظيم "سواسية" الذي يوجد في تونس والجزائر، والتي تطالب بالمساواة بين الشواذ جنسيا وباقي المواطنين العاديين في الحقوق الاجتماعية والقانونية، مدعومة من طرف تنظيم سويسري يحمل اسم "best homo" وهو تنظيم يعد من أبرز التنظيمات المشجعة والمساندة للشواذ بالمغرب ماديا ومعنويا حيث خصصت مبلغ مليون أورو (نحو 11 مليون درهم مغربي) لتنظيم الاحتفال بتأسيس جمعية "كيف كيف"، دون أن ننسى الاحتفاء المبالغ فيه بالشاذ "عبد الله الطايع" والمتحول جنسيا "نور"، وآخر مظاهر تجليات الشذوذ تمثل في فضيحة القصر الكبير..، كل هذه الأحداث وغيرها كثير دفعت إلى رفع السرية عن ملف الشذوذ الجنسي في المغرب، حيث عرف أول تناول بالنقاش عبر القناة الثانية 2M من خلال برنامج "مباشرة معكم" الذي أبى إلا أن يروج لوجهة النظر العلمانية المشجعة للشذوذ، وبهذا لم يبق الموضوع الشذوذ مقصورا على الصحف والمجلات العلمانية التي استغلت فضيحة القصر الكبير للترويج لنظرة العلمانية حول طرق تصريف الشهوة الجنسية، متسترة بالدعوة إلى تطبيق اتفاقيات الأمم المتحدة الداعية إلى تطبيع زواج الجنس الواحد، والمعاشرة من دون زواج، وفصل الزواج عن الإنجاب وعن الجنس، وقبول الشذوذ الجنسي كممارسة مشروعة، تدخل ضمن حقوق الإنسان، مما يدفعنا إلى تسليط الضوء على نظرة العلمانيين إلى طرق تصريف الشهوة الجنسية المذكورة آنفا.

نظرة العلمانيين المغاربة إلى طرق تصريف الشهوة الجنسية

يجتهد العلمانيون في تبني مفهوم التربية الجنسية، بغرض كسر الطابوهات وإخراج المسكوت عنه، "ويجنح رواد هذا الطرح لتعليق بعض الظواهر المنتشرة في المجتمع، مثل ظاهرة الطلاق أو البغاء أو الشذوذ أو غيرها من الظواهر على عامل انعدام التربية الجنسية في الثقافة السائدة، ويتطرف بعضهم فيجعل من الجنس المحور الأساسي والقضية المركزية التي ينبغي أن تجتهد الأقلام والأفهام لتجليتها باعتبارها ذلك المسكوت عنه التاريخي الذي ينبغي إعادة الاعتبار له، سواء على مستوى أشكال التعبير الفني، أو على مستوى إعطائه الأولوية في التحليل والمقاربة.

وهذا ما يظهر جليا في إنتاجاتهم الأدبية الروائية والشعرية والسينمائية والمسرحية، والمعالجات الإعلامية التي تجتهد في إخراج هذا "المسكوت عنه" بعناية كبيرة، سواء كان هذا الإخراج مجرد تعبير عن المعطى الموضوعي في الواقع، أو تصوروا طيفيا يصوغه الخيال الأدبي والفني لأصحاب هذا الطرح".

وينبني هذا الإخراج على مقاربة نفسية ومقاربة سوسيولوجية.

أما المقاربة النفسية فتتأسس على مفهومين متقابلين بالنظر إلى موضوع الجنس:

- مفهوم السلامة النفسية
- ومفهوم العقدة النفسية.

فالجنس باعتباره طاقة غريزية شهوية يحتاج في هذا المنظور إلى تحرير وإشباع.

إما في **شكل ممارسة جنسية لا تراعي مفهوم الشرعية**؛ إذ الإشباع ليس من وظيفته البحث عن القانونية والشرعية.

وإما في **شكل إعلاء**، وهو نوع من التفريغ التعويضي الذي يجعل الفرد منشغلا بموضوعات أخرى يفرغ فيها مكبوتاته الجنسية.

وغير هذين المسلكين فهو العقدة النفسية الناتجة عن عدم تسوية مشكلة الجنس، وتصريفه ضمن قنواته المفترضة.

ينضاف إلى المقاربة النفسية المقاربة السوسيولوجية التي تعتمد على مفهوم "**إخراج المخبوء من أجل فهم الظاهرة ومعالجتها عبر تنظيمها**"؛ حيث تعتقد هذه المقاربة أن ظاهرة العلاقات الجنسية غير الشرعية -وحتى ظاهرة الشذوذ- هي ظواهر مجتمعية موجودة كمعطى موضوعي، وعدم ظهورها لا يعني انحصار الظاهرة في عدد محدود؛ بل إن خفاءها مرتبط بالثقافة السائدة التي تجعل من الجنس تابوها محرما. ولهذا ترى هذه المقاربة أن خفاء الظاهرة يمكن اعتباره علامة مرضية. فلأجل فهم عميق للظاهرة ولأجل معالجتها لا بد من إخراجها من حيز الخفاء إلى الظهور والعلن، ثم بعد ذلك بدلا من التسيب الموجود في الخفاء تقترح هذه المقاربة العلمانية حل تقنين الظاهرة وتنظيمها حتى لا تؤثر سلبا على التنمية المجتمعية.

وهكذا تلتقي المقاربة النفسية مع المقاربة السوسيولوجية، وينتظم الكل ليشكل جزءا من الخطاب العلماني في تغطيته للمشكلة الجنسية. (انظر كتاب حوار مع العلمانية).

يدعو العلمانيون من خلال مقاربتهم المدحوضة إلى الأخذ بالأساليب الغربية في طرق تصريف الشهوة الجنسية، ويرون في ذلك الحل الوحيد لكل المشاكل الجنسية العالقة..

وهنا لنا أن نطرح بعض التساؤلات:

ماذا جنى الغرب من وراء هذه المقاربات المطروحة لحل مشاكله الجنسية؟

كم هي نسبة المصابين بداء السيدا وغيره في الدول التي تبنت مثل هذه المقاربات؟

هل يجوز الاستدلال بتجربة فاشلة والدعوة إلى الاقتداء بها داخل مجتمعنا؟

إن التزام النظرة الغربية في طرق تصريف الشهوة والتي يطبل ويزمر لها العلمانيون صباح مساء عبر جريدتي الصباح والأحداث ومجلتي نيشان و"لوجرنال" وغيرهما من قنوات نشر الفجور والشذوذ داخل المجتمع المغربي انتهت بالمجتمعات الغربية إلى نهاية مؤلمة صارت المرأة معها مجرد دمية يتمتع بها الرجل وقتما شاء، بل انتهت إلى زهد كثير من الغربيين في العلاقة الطبيعية والبحث عن أساليب أخرى لقضاء الشهوة، فتعدى الأمر عندهم اللواط والسحاق ليصل إلى ممارسة الجنس مع الكلاب والحمير، وانتهت إلى استجداء المرأة لأي عابر لقضاء شهوته، وانتهت إلى عودة الرقيق الأبيض وبيع الأعراض بأبخس الأثمان، وإلى انتشار ظاهرة اغتصاب النساء والأطفال، وإلى التحرش الجنسي، وإلى إدمان المخدرات واتساع دائرة السرقة والنهب والرشوة والفساد وإدمان الخمور والمخدرات، وانتشار الأمراض الفتاكة.

هذا هو **بعض** ما انتهت إليه التجربة الغربية، فهل هدف العلمانيين هو تحقيق مثل هذه النتائج المبهرة داخل مجتمعنا؟

وللأسف الشديد فقد بدأت كثير من مثل هذه الظواهر تتسلل داخل مجتمعنا نتيجة الجو العفن الذي تحدثه وسائل الإعلام العلمانية المأجورة وبعض الأقلام المسمومة التي تنهش في عرض هذا البلد الشريف الذي عاش وسيعيش بالإسلام وللإسلام؟

فإذا كان القانون المغربي لا يطبق الحكم الشرعي على قضايا فاحشة اللواط فإنه مع ذلك يجرم صراحة هذا الفعل، فقد جاء في الفصل المتعلق بتجريم الشذوذ في باب انتهاك الآداب في الفرع السادس من القانون الجنائي في مادته 489 "يعاقب من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وغرامة من 200 إلى 1000 درهم من ارتكب فعلا من أفعال الشذوذ الجنسي مع شخص من جنسه، ما لم يكن فعله جريمة أشد".

ورغم ضعف العقوبة القانونية مقارنة مع العقوبة التي شرعها الله تعالى على لسان نبيه وعظم الجرم وخطورته على الأسرة والنسل، يلاحظ أن السلطات تتعامل بنوع من التسامح مع الشواذ مستجيبة للضغط الذي تفرضه المنظمات التابعة للأمم المتحدة، والجمعيات الغربية الداعمة للشواذ والحريصة على مراقبة مؤشر تطور هذا الملف داخل وطننا مراقبة من له مصالح في إفساد أخلاق مجتمعنا.

فعلى كل مغربي مسلم غيور أن يحوط رعيته وسلطانه بسياج العفة والحياء والطهر، وأن يمنع تسلل مثل هاته الأفكار والأطروحات المنحلة التي أثبتت فشلها عمليا في المجتمعات الغربية، وليضع كلٌّ منا نصب عينيه قوله جل في علاه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" التحريم.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

الأسباب الكامنة وراء دعم الغرب للكيان الصهيوني

"إن دعم الكيان الصهيوني والدفاع عن سياسته دون شروط وتأييد الحركة الصهيونية اليهودية؛ هو المحور الأساسي في فكر وسلوك كم هائل من المؤسسات والقيادات وجماعات الضغط النصرانية الأصولية في الولايات المتحدة، حيث تتمحور أبرز الاتجاهات حول التبشير الإنجيلي بـ(إسرائيل) ودعمها نظرياً وعملياً، وتحسن قيادات الكيان الصهيوني استخدام "توارتية" الحركة النصرانية الأصولية لمصالحها وأهدافها الخاصة، حيث تتبلور أهم الاتجاهات الصهيونية لدى الحركة النصرانية الأصولية المعاصرة بالولايات المتحدة في الخطوط العريضة التالية:

1- **أن دعم "إسرائيل" وتأييدها ليس قضية أخلاقية أو إنسانية أو أمراً اختيارياً، أو يعود إلى اعتبارات سياسية أو عسكرية، بل إنه قضاء إلهي، وبالتالي فإن معارضة (إسرائيل) خطيئة دينية، وإن دعمها وتأييدها هو في سبيل الخير وإرضاء الرب.**

2- **أن وجود مدينة القدس تحت السيطرة اليهودية هو محور عودة المسيح الثانية جغرافياً وتاريخياً، وأن المعبد اليهودي لا بد أن يقام قبل هذه العودة الثانية على أرض المسجد الأقصى الذي لا بد من زواله.**

3- **أن الالتزام بتدعيم أمن "إسرائيل" وتقويتها عسكرياً واقتصادياً، وإقامة تحالف استراتيجي شامل معها، ومساعدتها بالتبرعات وشراء وتسويق منتجاتها وسنداتها، وإنشاء صناديق الاستثمار الدولية لمصلحتها، وتشجيع الاستثمار الأمريكي الخاص داخلها، واستصلاح الأراضي، وبناء المستوطنات فيها وفي الضفة الغربية وغزة والجولان، وتوفير فرص التدريب لليهود داخل مؤسسات ثقافية أمريكية.. هو التزام نصراني مبني على اعتبارات روحانية وتاريخية وأمنية.**

4- **اعتبار كل أراضي الضفة الغربية وغزة والجولان ملكاً للشعب اليهودي، وتبرير حروب الكيان الصهيوني التوسعية، والدفاع عن عملياته العسكرية الخارجية.**

هذه الخلفية الدينية تمثل محور وجوهر السياسة الأمريكية التي وقفت دوماً إلى جانب الدولة اليهودية، وتفسر ما عجزت عن تفسيره القيادات العربية التي راهنت على الحصان الأمريكي وارتأت أن أوراق حل القضية الفلسطينية بل والصراع العربي-الصهيوني برمته في يد الولايات المتحدة" (من مقال "دور أمريكا في نشأة الكيان الصهيوني وتوسعه الأساس الديني والأبعاد المصلحية" بتصرف يسير).

وختاما يتوضح لنا السبب وراء وقوف الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا.. في وجه الكثير من القرارات التي تدين العنصرية الصهيونية في فلسطين، وتجرم الجهاد الشرعي الفلسطيني، وتضغط على حركاته بديمقراطية الغرب الزائفة، وآخر ما أقدمت عليه فزاعة بني صهيون أن دعت العرب لمؤتمر "أنا بوليس" حتى يعترفوا بيهودية الكيان الصهيوني وأنه دولة قائمة بجنب إقليم فلسطين ..

فلسطين.. تاريخ وصراع

الكيد الصليبي-الصهيوني لمحو الوجود الإسلامي من مملكة "أورشليم" وأرض معبد سليمان

تعتبر القضية الفلسطينية قضية أمة بأكملها، فمنذ فتحها زمن عمر بن الخطاب وهي تعرف اهتماما متزايدا لما تحضى به مدينة القدس من مكانة عظيمة في الإسلام، ففيها المسجد الأقصى والبقعة المباركة وهو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيه أمَّ الأنبياءَ والمرسلين، وفلسطين من أرض الشام التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بسكناها عندما تجند الأجناد في الأوطان، وفي فلسطين يقتلُ مسيحُ الهداية (عيسى بن مريم) عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام مسيح الضلالة (المسيح الدجال).. إذن فارتباط المسلمين بأرض فلسطين لا يحكمه التاريخ أو الوجود العربي بها أو الجغرافيا ومنطق الأغلبية، بل تحكمه روابط دينية عقدية هي التي تشكل نضالهم التاريخي في وجه أي محتل له مهما بلغت قوته، وطال زمان احتلاله، وسيفرح المؤمنون بنصر الله..

الحرب الصليبية الصهيونية لاسترجاع مملكة "أورشليم"

دانت الشام بدين الإسلام وصارت فلسطين ومدنها حواضر إسلامية، ولقيت اهتماما متزايدا من خلفاء المسلمين على مرِّ التاريخ، لكن تطلع النصارى لخيرات الشرق بعدما وصلهم بريق نموها العمراني والحضاري والاقتصادي، مع حقد أحبارهم على الإسلام، وضعف قوة المسلمين بسبب التصارع حول الحكم، مما جعل الشام عبارة عن دويلات صغيرة.. جعل البابا "أوربان الثاني" يدعو لحملة صليبية على دولة الإسلام بحجة استرجاع أماكنهم المقدسة، فكانت النتيجة أن استولى الصليبيون على بيت المقدس وعاثوا فيه فسادا، فقتلوا الرجال والنساء، والشيوخ وأطفال، بل حتى النصارى المقدسيين، وبقي بيت المقدس والمسجد الأقصى الذي حوِّل إلى إسطبل للبهائم قرابة القرن إلى أن قيض الله صلاح الدين الأيوبي فكسر شوكة النصارى وحطم الصليب في معركة حطين، لكن الحقد الصليبي المستمر جعل أمة الصليب بين الفينة والأخرى يعلنونها حربا صليبية لاسترجاع مملكة "أورشليم".

بعد معركة حطين بقيت بعض الحواضر بأيدي النصارى، ولما اجتاح الغزو المغولي شرق بلاد المسلمين وأطل على مشارف بلاد الشام، بايع الصليبيون المغول وأعلنوا معهم حربا جديدة لاجتثاث المسلمين، لكن الله عز وجل قيض بطلا آخر هو سيف الدين قطز الذي شتت الجيوش المغولية-الصليبية في وقعة عين جالوت في فلسطين، وخاب أمل أمة الصليب مرة أخرى.. بعد ذلك قامت دولة الخلافة من جديد على أيدي بني عثمان وكانت بلاد الشام إيالة من إيالاتها..

الدولة العثمانية ودخول مرحلة جديدة

توسعت الدولة العثمانية في أوربا حتى بلغت دول البلقان، وفي إفريقيا حتى بلغت الجزائر، وحاربوا الصفويين في إيران، لكن الأيام دول، فبعدما ضعفت سلطتهم في الداخل والخارج، حتى شبهت الخلافة العثمانية بالرجل المريض، الذي تداعت عليه أمم الكفر من كل حدب وصوب، وكانت أول الخطوات في بداية القضية الفلسطينية مع الكيان الصهيوني رسالة من زعيم الصهيونية "هرتزل" إلى السلطان عبد الحميد الثاني يعرض عليه قرضاً من اليهود يبلغ عشرين مليون جنيه إسترليني، مقابل تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنح اليهود قطعة أرض يقيمون عليها حكماً ذاتياً. وقد رفض السلطان عبد الحميد مطالب هرتزل، ومما ورد عنه في ذلك قوله: "**لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا.. ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية، فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل بتشريحنا لأيٍّ غرض كان**".

وبعد اندلاع "الحرب العالمية الأولي" سنة [1332هـ/ 1914 م] بدأ اهتمام بريطانيا بفلسطين وبموضوع الاستيطان اليهودي يتزايد، ولذلك فقد طلب "هربرت صمويل" -وهو يهودي في الحكومة البريطانية- من وزير خارجية بريطانيا العمل على إقامة دولة يهودية في فلسطين بمساعدة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فبعث "صمويل" بمذكرة اقترح فيها إقامة محمية بريطانية في فلسطين يسمح لليهود بالهجرة إليها على أن يتمتع هؤلاء اليهود بحكم ذاتي في فلسطين، ثُمَّ تطور الأمر -بعد ذلك- لتصبح دولة موالية لبريطانيا، وفي أواخر سنة [1334هـ/ 1916م] قامت "المنظمة الصهيونية" بإرسال مذكرة إلى الحكومة البريطانية تطالب فيها بإنشاء دولة قومية لليهود في فلسطين، نظير خدمات جليلة سوف تقدمها لها بعد ذلك، فاستجابت بريطانيا وسعت إلى إصدار "وعد بلفور" بعد أن تحققت أن إنشاء تلك الدولة يحقق أهداف بريطانيا ويرعى مصالحها في المنطقة، ويمكنها من بسط نفوذها على فلسطين والتحكم في "قناة السويس" وتأمينها من الشرق، مما يعزز من موقفها ويحكم قبضتها على البلاد العربية التي استعمرتها.

وتحت ظل الاحتلال البريطاني العسكري، تنامت قوة المستعمرات والمنظمات الصهيونية، بل شكلت "الوكالة اليهودية" ما يشبه حكومة ظل تحت رعاية المستعمرين البريطانيين تعنى بكل الشؤون الداخلية والخارجية، من عسكرية وزراعية وتعليمية.. إلخ.

واستمدت هذه الحركة قوة من دعم فروعها في مختلف أنحاء العالم أولا، ومن عدة دول غربية وشرقية أبرزها بعض دول الاتحاد السوفييتي السابق التي وفرت السلاح والضباط والمجندين، وبريطانيا بوجودها العسكري الكبير في فلسطين (120 ألف جندي خلال الثورة الفلسطينية في العام 1936م)، والولايات المتحدة الأمريكية التي أظهرت انحيازا كاملا إلى جانب الحركة الصهيونية.

ثم جاء قرار تقسيم فلسطين الذي أصدرته "الجمعية العامة للأمم المتحدة" سنة [1366هـ/1947م] مُحبطًا ومُخيِّبًا لآمال الشعوب العربية التي كانت تتطلع إلى حيادية تلك المؤسسة الدولية، فقد كشف بجلاء عن ازدواجية المعايير التي تضبط أحكام وقرارات تلك المؤسسة، وعن خضوعها لنفوذ الدول الكبرى، واستسلامها لإرادة تلك الدول ومصالحها.

ولبيان موقف الغرب حيال القضية الفلسطينية وما يقدمه للكيان الصهيوني من خدمات نضرب مثالا براعية مصالحه في كل المحافل الدولية، إنها الولايات المتحدة الأمريكية التي تتفق سياستها تجاه المسلمين وسياسة الكيان الصهيوني، إنها الحرب على الإسلام للتعجيل بمجيء مسيح السلام، وهم في الحقيقة إنما يعجلون بخروج المسيح الدجال الذي ينتظره اليهود ويقودهم لمحاربة المسلمين..

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

عناية المسلمين بالبلاغة خدمةً للقرآن الكريم

أ.د. أحمد الخراط

علم البلاغة غصن باسق من دوحة علوم العربية، وقد لقي هذا العلم من عناية السلف وجهودهم ما جعله عِلْماً قائماً بذاته؛ ليخدم بيان الوحي المعجز، وتفوُّقه على الأساليب البيانية الأخرى.

ويشير واقع العرب في أوائل عصر نزول القرآن الكريم إلى أن السليقة التي نشؤوا عليها في التذوق الفطري الأصيل وَفَّرَتْ عليهم تحليل مقومات روعة الكتاب العزيز، ثم إنهم لم تكن لديهم الوسائل التي تكفي لبلوغ هذا التحليل، على نحو ما تيسَّر للأجيال التالية.

ومع مرور الأيام برزت عوامل جديدة أدَّت إلى إضعاف أثر السليقة في التعامل مع النصوص الأدبية؛ فقد اختلط العرب الفصحاء بغيرهم، ووصلَتْ دعوة الإسلام إلى أقوام مختلفين، كما أثيرت شكوك ومطاعن في بلاغة القرآن وإعجازه، ممَّا جعل الكثيرين لا يكتفون بهذا التفوُّق الذي تُحِسُّه نفوسهم إزاء البيان القرآني، فمضَوا يحاولون استنباط ما يستطيعون استنباطه من وجوه البلاغة فيه، وأصبحت دراستُهم تقوم على الدليل العقلي والحجة وتسويغ مواطن الجمال التعبيري.

ويُعَدُّ القرآن الكريم العامل الرئيس الذي ساعد على الشروع في الدراسات البلاغية بمختلِف اتجاهاتها، وكان هذا العامل أهمَّ البواعث في إثارة الهمم للبحث الجادِّ عن ترتيب وجوه الكلام، والتمييز بين الأساليب ومعرفة الجوانب الجمالية في نسيج تركيب الجملة العربية.

ويُجْمِع العلماء على أنه بفضل الكتاب العزيز نشأت علوم البلاغة التي أمدَّها النص القرآني بفيض من الأمثلة البديعة في محاسن الكلام وبديع النظم.

وقد عرَفَ العرب بسليقتهم اللغوية أن عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن نابع من بلاغته القوية وبيانه المعجز؛ وما يتميَّز به من خصائص أسلوبية وبيانية، ولكن مع التأثُّر الجارف بالفلسفات الوافدة ذهب بعض المسلمين إلى ما عُرِفَ بنظرية الصِّرْفة، والتي مفادها أن العرب قادرون على الإتيان بمثل بلاغة القرآن وبيانه، ولكنهم صرفوا عنه ضربا من الصرف.

وذهب إبراهيم النظَّام المعتزلي هذا المذهب، فكان يعتقد أن القرآن ليس في درجة من البلاغة والفصاحة تمنع من الإتيان بمثله، فبلاغته لا تزيد على بلاغة سائر الناس، وهو من جنس كلام البشر.

ومثل هذا الرأي دفع علماء المسلمين إلى الخوض في مسائل البلاغة التي تدرس خصائص النص القرآني، ممَّا سيكون له أثر كبير في إغناء المباحث البلاغية، فقد أثمرت أهمَّ نظرية في تراثنا البلاغي وهي نظرية النظم، ومن هنا كان الردُّ على النظَّام ونظريته في الصِّرْفة باعثاً مهماً ومنطلقاً لعلماء البلاغة أن يُثْبِتوا تَفَوُّق الأسلوب القرآني على الأساليبَ البشرية وتميُّزه بصنوف البيان البديع، وهذا الدافع جعلهم يَبُثُّون بذور علم البلاغة وفروعها المختلفة، مما كان أساساً لاكتمال صورتها في مصنفات القرون التالية.

وإذا كان الدافع للاهتمام ببيان القرآن في أول الأمر هو الدفاع عن الكتاب العزيز أمام نزعات الشك وردِّ المطاعن، فإنَّ دراسات جادَّة شرعت في بناء منظومة واسعة، غرضها شرح أوجه إعجاز القرآن ودراسة أسلوبه.

وهذه الدراسات زوَّدت مسيرة علم البلاغة بفيض من الأصول والأمثلة التي اعتمدَتْها مصنفات علوم البلاغة فيما بعد القرون الأولى، وكان اختلاف وِجهات النظر في مواطن إعجازه مادة ثرَّة، رفدت هذه العلوم بروافد تأصيلية في البحث البلاغي والنقد الأدبي، وبذلك يتبيَّن لنا أن أهمَّ جانب ساعد على ظهور التفكير البلاغي هو الجانب المتصل بإعجاز القرآن، كما يتبيَّن لنا أن اتساع الدراسات البلاغية وازدهارها إنما كان لخدمة القرآن الكريم.

وتفرع على النظر في أسلوب القرآن واتخاذه المقياسَ البلاغي الأمثل النظرُ في الأساليب الأدبية نثرها وشعرها، والموازنة فيما بينها. وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى مِن أوائل مَنْ أَلَّفَ فيها بكتاب سماه "المجاز"، وكان غرضه توضيح الأساليب القرآنية.

ولم تقتصر علاقة القرآن بمنهج البحث البلاغي على الدفاع عنه والتماس وجه إعجازه، بل إن ثمة علاقةً أخرى، وهي الضرورة التي يُحِسُّها المسلم من جهة فَهْم معانيه، ولا يتمُّ هذا الفهم إلا بالإحاطة بأساليبه، وما يمكن أن ينطويَ وراء تعبيراته من المعاني والمقاصد، على قَدْر طاقة المشتغلين فيه. ومن هنا جال علماء البيان بضروب الأسلوب القرآني، وكان هذا من الحوافز التي وجَّهَتْ أنظارهم إلى الفنون المختلفة للتعبير الفني في الشعر والنثر، فوضعوا مصنفات كثيرة في هذه الحقول، وكانت هذه المصنفات صدىً لبيان خصائص النظم القرآني.

وكان من جملة أغراض البحث البلاغي عندهم إثبات أنَّ ما عُرِف في أدب العرب من فنون جمالية عالية في التعبير، وقع مثله في القرآن على صورة أجملَ وأنَق وأرقى، وقد فَتَحت المصنفات التي تركوها باب البحث البلاغي على مصْراعَيْه، ووصلَتْ بالذوق البياني إلى كثير من الأصول التي تأسَّسَتْ عليها علوم المعاني والبيان والبديع.

يقول الدكتور بدوي طبانة: «من النادر أن نجد أثراً من الآثار التي عرضت للبيان العربي خَلاَ من الإشارة إلى القرآن ونظمه، وهذا يؤكِّد بُعْدَ أثر الدراسات القرآنية في نُمُوِّ الدراسات البيانية وتنوُّعها، وعدم انقطاع هذا التأثر في سائر العصور».

وعندما ازدهر التصنيف في علوم البلاغة كانت خدمة القرآن الكريم ماثلة أمام العلماء الذين كانوا يَعُدُّون جهودهم مُنْصَبَّةً في هذا المجال، حتى إننا لا نكاد نجد كتاباً في البلاغة مقصوراً على مباحثها النظرية، وبعيداً عن خدمة القرآن، فعبد الله بن المعتز مثلاً عندما شرع في البحث عن صنوف "البديع" وفنونه أشار إلى كثير من آيات القرآن، وكان يجعل الشاهد القرآني في مقدمة شواهده، وحين تكلَّم على ما سمَّاه الجاحظ المذهب الكلامي قال: "وهذا بابٌ ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو يُنْسَبُ إلى التكلُّف".

وتُرْجِعُ معظم كتب البلاغة سبب تأليفها إلى إطْلاع الناس على مواطن أسرار البيان في القرآن، فالرمَّاني مثلاً يحصر البلاغة في أقسام عشرة هي: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان. ثم يمضي لتفسير كل قسم في ضوء الآيات القرآنية وبيان أسرار الجمال فيها، وذلك في كتابه النُّكَت في إعجاز القرآن، الذي يُعَدُّ حلقة مهمة من حلقات التأليف في البلاغة العربية.

وقد بلغ التصنيف في علوم البلاغة غاية بعيدة من النضج والإحكام على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي وضع كتابَيْه "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز"، وكان لهما منزلة عالية في نضج التفكير البلاغي، ويتضح فيهما توجيه علوم البلاغة توجيهاً خالصاً لخدمة القرآن الكريم.

وهذا هو صاحب "الصناعتين" يقول في مقدمة كتابه: "قد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علمَ البلاغة، وأَخَلَّ بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خَصَّه الله به مِنْ حسن التأليف وبراعة التركيب"، بل إن العسكري في كتابه يرى أن أحقَّ العلوم بالتعلُّم وأَوْلاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله، علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي يُعرف به إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحكمة.

ومن هنا فإن الدارسين المحدثين لَمَحوا علاقة علم البلاغة بكتاب الله؛ يقول الدكتور مازن المبارك: "وهكذا نشأت البلاغة وترعرعت تحت راية القرآن والبحث في إعجازه، وهذا البحث هو الذي وصل بها إلى أن تصبح علماً مستقلاً يُخَصُّ بالتأليف، بل لقد ظلَّت البلاغة بعد نضجها واستقلالها أيضاً عالقة بفكرة إعجاز القرآن والدفاع عنها".

ويشارك القرآن الكريم في تربية الذوق البياني لدى الفرد، ويُنَمِّي لديه حاسَّة النقد والملكة الأدبية في الكشف عن مواطن الجمال، وقد وضع البطليوسي في شرحه لخطبة "أدب الكاتب" غرضَين لطلب الأدب والاهتمام بمدارسته، "أحدهما: يقال له الغرض الأدبي، والثاني الغرض الأعلى، فالغرض الأدبي يَحْصُل للمتأدِّب بالنظر في الأدب والشعر، والغرض الأعلى يَحْصُل للمتأدِّب من فهم كتاب الله وكلام رسوله".

ولذلك فإن معشر البلغاء والكُتَّاب كانوا حريصين على التزود من مَعين كتاب الله، كما كانوا يُوصون المتأدِّبين بالعكوف على أسلوبه وبيانه؛ ليفيدوا منه في صقل أساليبهم، وترقية بيانهم. يقول عبد الحميد الكاتب: "تنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله تعالى، ثم العربية، فإنها ثِقَاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حِلْية كتبكم، وارْووا الأشعار، واعرِفوا غريبها ومعانيَها، وأيامَ العرب والعجَم وأحاديثَها وسيرَها؛ فإن ذلك مُعين لكم على ما تَسْمُو إليه هممكم".

ونخلص إلى أن البلاغة العربية في نشأتها وتطورها وثمارها لا تنفكُّ عن القرآن؛ إذ سَعَتْ في خدمة بيانه، وساهمت في شرح إعجازه وبديع نظمه.

بتصرف

opie de assabil 30 5/03/08 19:30 Page 30

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

الميتافيزقية

..الميتافيزيقيا في مجال الفلسفة تعتمد على العقل في إنشاء نظرية إلهية عن الوجود الإلهي بديلة عن التثليث، من ذلك فلسفة "هيجل" الروح المطلق، وكلها مذاهب يعارضها التوحيد الخالص معارضته للصليبية نفسها.

التعريف

الميتافيزيقية اتجاه أدبي وفلسفي يبحث في ظواهر العالم بطريقة عقلية وليست حدسية صوفية، ويمزج العقل بالعاطفة ويبتدع أساليب أدبية تجمع بين المختلف والمؤتلف من الأخيلة الفكرية والظواهر الطبيعية.

التأسيس وأبرز الشخصيات

"جون دن" 1572/1631م الشاعر الإنجليزي الذي أسس المدرسة الميتافيزيقية في الشعر الإنجليزي مع باقي الشعراء في القرن السابع عشر من أمثال: "جون هيربرت"، و"هنري فون"، و"روبرت كرشوا" و"أندرو مارفيل" و"إبراهام كاولي"، وهم الشعراء الذين ساروا على نهج "جون دن" في أسرار الوجود.

"جون درايدن": شاعر إنجليزي نقد "جون دن"، وقال إن شعره مفعم بالفلسفة العويصة الفهم.. والشعر المرهف الرقيق لا يستطيع حمل الأفكار الفلسفية الثقيلة.

"هـ. ج. س. جريرسون": ناقد إنكليزي من الكلاسيكية الحديثة، أحيا المدرسة الميتافيزيقية في كتابه عن الأشعار الميتافيزيقية سنة 1921م.

"ت.س. إليوت" ناقد وأديب إنكليزي، أحيا الميتافيزيقية بعد أن كادت أن تندثر في كتابه الشعراء الميتافيزيقيون ودراسة خاصة عن الشاعر الميتافيزيقي "أندرو مارفيل" سنة 1921م.

وفي مجال الفلسفة "هيجل" و"برادلي" و"صمويل الكسندر" وغيرهم.

الأفكار والمعتقدات

محاولة تفسير الظواهر الميتافيزيقية، بأساليب تجسيدية تقرب بينها وبين الظواهر الطبيعية كتشبيه الحب بعلم التجميع، وتشبيه الروح بقطرة الذل.

إن الإنسان يستطيع أن يقترب من القوى الميتافيزيقية عندما يجدها متجسدة في أعمال مسرحية وشعرية وروائية.

الميتافيزيقيا في مجال الفلسفة تعتمد على العقل في إنشاء نظرية إلهية عن الوجود الإلهي بديلة عن التثليث، من ذلك فلسفة "هيجل" الروح المطلق، وكلها مذاهب يعارضها التوحيد الخالص معارضته للصليبية نفسها.

الشعر الميتافيزيقي يعد نموذجاً لتحليل الشعور الإنساني وليس لتجسيده، والبحث عن الفلسفة الكامنة وراء الحب بكل أنواعه وليس تعبيراً عن التجربة النفسية التي يخوضها المحبون.

تأكيد الدلالات الدينية والأخلاقية الكامنة وراء القوى الميتافيزيقية، والشعر هو خير أداة للتعبير عن هذه الدلالات عن طريق إثارة قوى التفكير والتأمل لدى الإنسان العادي.

الأسلوب السهل والتعبير الجميل هو الوسيلة الوحيدة لنقل الأفكار العميقة إلى القراء والتأثير فيهم، وإن أدى إلى المبالغة الشعرية.

يختلف الشعر الميتافيزيقي عن الشعر الصوفي الذي يدعو إلى وحدة الوجود، وإلى الحب الإلهي الذي يسمو على الحب المادي الفاني، والذي ينتهي بحدود الزمان والمكان.

الجذور الفكرية والعقائدية

يرى بعضهم أن العقائد الدينية النصرانية هي الخلفية الفكرية للمذهب الميتافيزيقي الأدبي.. ولعل عجز الإنسان عن فهم الأمور الغيبية في الحياة، دفعه إلى التعبير عن جميع الظواهر الغيبية مثل الروح والحياة، والقدر والموت.. عن طريق الشعر والرواية والمسرحية.. لعل الإنسان يستطيع التوصل إلى فهم كنه هذه الظواهر.

أماكن النفوذ والانتشار

بدأ المذهب الميتافيزيقي في إنجلترا.. وإن كانت أفكاره أثرت تأثيراً كبيراً في أدباء الكلاسيكية الجديدة في أوروبا كلها والعالم الغربي برمته.

ويتضح مما سبق

أن الميتافيزيقية هي اتجاه أدبي يبحث عن ظواهر العالم بطريقة عقلية ممزوجة بالعاطفة من أجل الجمع بين كل ما هو مؤتلف ومختلف من الأخيلة الفكرية والظواهر الطبيعية، وإبرازه في أعمال مسرحية وشعرية وروائية تجسد الفلسفة الكامنة وراء الحب، بأسلوب سهل وتعبير سلس. ومع أن هذا الاتجاه يؤكد الدلالات الدينية والأخلاقية الكامنة وراء القوى الميتافيزيقية إلا أنه يتبنى، كالخيال الصوفي الجامح فكرة وحدة الوجود، ومن هنا كانت خطورة التعبيرات الأدبية في هذا الاتجاه على الشباب المسلم الذي يجب أن يعيها بدقة ويعرف أبعادها قبل أن ينجرف مع تيارها عندما يتعامل مع إفرازات هذا المذهب الأدبي.

التعبيرية

..الاتجاه اللاعقلاني في التعبيرية يعد الابن الشرعي للمذهب السريالي الأم، ولذلك يعد ثورة على منطق الحياة وعلى العقل، ولا يخضع لقواعد الفن.

التعريف

التعبيرية مذهب أدبي فلسفي تجريبي لا انطباعي، إذ يعطي الأديب فيه للتجربة بعداً ذاتياً ونفسياً وذلك على عكس الانطباعية التي تركز على التعبير عن الانطباع الخارجي عن الذات.

وقد اهتمت التعبيرية بالمسرح كما اهتمت بضروب الأدب الأخرى.

التأسيس وأبرز الشخصيات

لقد تفرعت المدرسة التعبيرية إلى اتجاهات متعددة وهي:

الاتجاه التطبيقي: يقول أصحاب هذا الاتجاه: إن مهمة الأدب هي تنشيط عقل الإنسان ووجدانه، ومنعهما من الركود والبلادة، وليس مجرد تقديم صورة لما يراه الإنسان بالفعل في حياته اليومية.

ومن شخصيات هذا الاتجاه "توللر" و"هاسين كليفر" و"بيتشر" و"كابر" والأمريكي "جون هاورد لوسون".

الاتجاه اللاعقلاني: ويقول أصحاب هذا الاتجاه إن المعقول هو ما اتفق عليه الناس، وعلى المسرح أن يعالج ما لم يتفق عليه الناس بعد.

ومن شخصيات هذا الاتجاه:

"صمويل بيكيت" المولود سنة 1906م وهو روائي ومسرحي أيرلندي الأصل، كان يكتب مسرحياته بالفرنسية.

"أونسكو" المولود سنة 1912م وهو مسرحي روماني الأصل، ويعد من أركان مسرح اللامعقول.

ومن رموز التعبيرية أيضاً "كافكا" و"أونيل" الذي بلغت التعبيرية قيمتها في مسرحيته "أيام بلا نهاية".

الأفكار والمعتقدات

يتركز هدف الفن التعبيري في التجسيد الموضعي الخارجي للتجربة النفسية المجردة، عن طريق توسيع أبعادها، وإلقاء أضواء جديدة عليها، لكي تكشف عن الأشياء التي يخفيها الإنسان أو التي لا يستطيعون رؤيتها لقصر نظرهم.

وتجسد التعبيرية جوهر الأشياء، دون إظهار خارجها، ولذلك فهي لا تعترف بأن هناك تشابها بين الظاهر والباطن.

وتهتم التعبيرية بالإنسان كله، ولذا فإن الشخصيات في المسرح التعبيري تتحول إلي مجرد أنماط أكثر منها أناس من لحم ودم. وأحياناً تتحول إلي مجرد أرقام أو مسميات عامة.

وتقوم المسرحية التعبيرية على شخصية محورية تمر بأزمة نفسية أو عاطفية، لذلك يستعين المؤلف بعلم النفس في أحيان كثيرة حتى يبلور مأساة الشخصية الداخلية.

ركز أصحاب المذهب التعبيري على مهمة الأدب التقليدي الذي غالباً ما يتميز بالمحدودية والغباء وضيق الأفق.

الاتجاه اللاعقلاني في التعبيرية يعد الابن الشرعي للمذهب السريالي الأم، ولذلك يعد ثورة على منطق الحياة وعلى العقل، ولا يخضع لقواعد الفن، ويعتقد بأن الحياة في جوهرها وفي حقيقتها التجريدية شيء لا معقول أي غير مفهوم وغير قابل للفهم أو للتفسير.

ويعد هذا الاتجاه أيضا من أمراض العصر الحاضر المملوء بالقلق واليأس من الحياة، والمصير المظلم الذي ينتهي بالموت.

نقد للاتجاه اللاعقلاني في التعبيرية

هاجم الناقد الفرنسي: "موریاك" في كتابه الأدب المعاصر أدب "بيكيت" اللامعقول، فقال: (إننا لا نعرف من "بيكيت" شيئاً محققاً أو واضحاً ولا نفهم شيئاً مما يقول على حقيقته).

وكذلك هاجم أدب اللامعقول، الناقد "أندريه مارسيل" فقال: "يبدو أن الهدف الرئيسي لـ "بيكيت" هو كتابة العمل الأدبي الذي لا يكتب والذي لا يمكن تأليفه، إنها محاولة نحو المستحيل، وهي مأساة فشل لا مفر منه، ومجرد أكوام من الحطب المحترق التي تملأ الجو دخاناً في أرض مبهمة مجهولة".

الجذور الفكرية والعقائدية

تعد الحرب العالمية الثانية، وما تركته من دمار في الأرض، ودمار في النفوس والأفكار المحضن الحقيقي للاتجاه اللاعقلاني في الأدب، لذلك كان اليأس والتشاؤم والقلق هو الغالب على مسرحيات هذا الاتجاه، إذ إن كثيراً من المفكرين والأدباء الأوروبين فقدوا الأمل في الفكر العقلاني الواعي، لأن ما جرى خلال الحرب ينافي العقل والمنطق في رأيهم.

الانتشار وأماكن النفوذ

نشأت التعبيرية في فرنسا وألمانيا وانتشرت بعد ذلك في أوربا والعالم الغربي كله.

يتضح مما سبق

أن التعبيرية مذهب أدبي فلسفي، يهتم بالتجربة الإنسانية، ويعطيها بعداً ذاتياً ونفسيًّا، فالعبرة فيه بجوهر الشيء لا بمظهره، لأنه لا يوجد أي تشابه بين الظاهر والباطن. وفي مجال المسرح يركز هذا المذهب على فكرة الشخصية المحورية التي تجتاز أزمة نفسية أو عاطفية ويتم تحليل أبعادها الخارجية من خلال معطيات علم النفس وأدواته. ويعد هذا المذهب مظهراً من مظاهر أمراض العصر الذي يغص بالقلق واليأس من الحياة والمصير المظلم الذي يسود كثيراً من دول الغرب وينتهي بكثير من الناس إلى فقدان الإحساس بقيمة الحياة والقيم الروحية التي تثريها وتجعل للإنسان فيها هدفاً ولوجوده معنى.

تعقيب

الإسلام لا يمنع التعبير عن مكنونات النفس إذا كان ذلك لا يتعارض مع معطيات الشرع، وفي نفس الوقت يحبب حياة الجد والعمل والاجتهاد، ويمحو مفاهيم الفوضى والعدمية واللامعقول من عقول الناس حتى لا تسيطر عليها وتحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق.

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

حكم ومواعظ

ابن بهيّة

كان بالأهواز رجلٍ يُعرف بابن واصل، تمّت عليه حيلةٌ في تزوير، فطالبه صاحب ديوان الأهواز بالمال، فأدّى بعضَه وعجز عن تأدية باقيه، وكان أبو عبيد الله صاحب الديوان له عادة في سجع الكلام دائمة، وله فيها أخبار وحكايات عجيبة، فكان إذا ذُكر في مجلسه ابن واصل يقول: هاتوا ابن واصل، وطالبوه بما عليه من الحاصل، فيُحضَر ذلك المسكين ويُحبس، ويُطالب بما عليه بسبب السجع المشئوم، ثم يؤخذ منه بعض المال، ويستعطف البعضُ صاحبَ الديوان فيفرج عنه، ثم يعيد السجع فيعود القبض والحبس!

ثم جيء به يوماً إلى صاحب الديوان، فقال له: يا سيدنا، أنا أعرف بابن بهية (اسم والدته)، وأسألك أن تعفيني من الدعاء باسم أبي وتنقل ذكري إلى اسم أمي، فقال أبو عبيد الله: حبًّا وكرامة، وصار بعد ذلك يقول في مجالسه: يُحضر ابن بهيّة، ويُطالبُ بالبقية. فيُحضَر ويُحبَس.

التجمُّل في المسألة

كان عبد الرحمن الداخل ببعض مجالسه، فمثل بين يديه رجل من جند قِنسرين يستجديه، فقال: يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الأكرمين، إليك فررت، وبك عذت من زمن ظلوم، ودهر غشوم، قلَّ المال وكثر العيال، وشعث الحال فصيَّر إلى نداك المآل، وأنت ولي الحمد والمجد، والمرجوُّ للرِّفد.

فأجابه عبد الرحمن على الفور: سمعنا مقالتك، وقضينا حاجتك، وأمرنا بعونك على دهرك، على كرهنا لسوء مقالك فلا تعودنّ ولا سواك لمثله، من إراقة ماء وجهك، بتصريح المسألة، والإلحاف في الطلبة، وإذا ألم بك خطب أو مرَّ بك أمر، فارفعه إلينا في رُقعة لا تعدوك، كيما تستر عليك خلتك، وتكف شماتة العدو عنك، بعد رفعك لها إلى مالكك ومالكنا عز وجل، بإخلاص الدعاء، وصدق النية.

البيروني على فراش الموت

قال الفقيه أبو الحسن عليّ بن عيسى: دخلتُ على أبي الرِّيحان البيروني وهو يجود بنفسه، قد حَشْرَجَ نَفَسُه، وضاق به صدرُه، فقال لي وهو في تلك الحال: ذكرتَ لي يوماً حساب الجدَّات من قِبَل الأم، وقد أُنسيتُه فأعده عليّ.

فقلت له إشفاقًا عليه: أفي هذه الحالة؟

قال: يا هذا أُودِّع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيرًا من أن أُخلِّيها وأنا جاهل بها؟

فأعدتُ عليه ذلك وحَفِظَه. وخرجتُ من عنده فسمعتُ الصراخ عليه وأنا في الطريق.

الإخلاص في السر والعلن

كان أحد الخلفاء يجول ليلاً بالمدينة، ومعه خادمه فأعياه التعب، فاتكأ إلى جدار بيت، وإذا امرأة تقول لابنتها: قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء، فقالت: يا أماه، أو ما سمعت منادي الخليفة ينادي: لا يشاب اللبن.

فقالت: إنك بموضع لا يراك الخليفة ولا مناديه.

فقالت الصبية: والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء.

فلما سمع الخليفة كلامها، قال لخادمه: اعرف الموضع، ثم مضى في جولته، فلما أصبح قال للخادم: امض إلى الموضع فانظر من القائلة، ومن المقول لها؟ وهل لها من عائل؟

قال: فأتيت الموضع فعلمت أن ليس لها من يعولها، فعدت إليه، فأخبرته الخبر فجمع أولاده وقال لهم: هل فيكم من يحتاج إلى الزواج فأزوجه، إذ لو كان لأبيكم حاجة إليه لما سبقه أحد منكم إلى هذه الصبية، فتزوجها واحد من أولاده.

تسلية وترويح

أدرك النفس وإلاّ تلفت!

لا تفكّـر في همـوم سلــفا
وتفكّر في ذنــوبٍ سلفـــت
واترك الآمال واطلب توبةً
أدرك النفس وإلاّ تلــفت!

حقيقة الدنيا

الدنيا دار أولها عناء وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من صح فيها أمن، ومن مرض ندم، ومن استغنى فيها طغى، ومن افتقر حزن.

عِشْ خامل الذكر

عِشْ خامل الذكر بين الناس وارض به
فــذلك أسلـــمُ للدنيـــا وللـــدينِ
مَــن عــاشر الناس لم تسلـم ديانته
ولـــم يزل بــين تحــريكٍ وتســـكينِ

من مكارم الأخلاق

قول في لين، وحزم في دين، وإيمان في يقين، واقتصاد في فقه، وبذل في صحة، وقناعة من فاقة، وإعطاء في حق، وبر في استقامة، وحرص على العلم.

الرجال أربعة

الرجال أربعة :جواد وبخيل، ومسرف ومقتصد.

فالجواد: من أعطى نصيب دنياه لنصيبه من آخرته.

والبخيل: هو الذي لا يعطي واحداً منهما نصيبه.

والمسرف: هو الذي يجمعهما لدنياه.

والمقتصد: هو الذي يعطي كل واحده منهما نصيبه.

الناس في الخير أربعة

فمنهم من يفعله.. ابتداء، ومنهم من يفعله.. إقتداء.

ومنهم من يتركه.. حرماناً، ومنهم من يتركه.. استحساناً .

فمن يفعله ابتداء: كريم

ومن يفعله اقتداء: حكيم

ومن يتركه استحساناً: غبي

ومن يتركه حرماناً: شقي

ماذا تشتهي؟

قيل لرجل ماذا تشتهي؟

فقال: عافية يوم.

فقيل له: ألست في العافية سائر الأيام؟

فقال :العافية أن يمر يوم بلا ذنب.

فيا موت زر

إذا عيّر الطائيَ بالبخل مادرٌ
وعيّر قسّـاً بالفهاهــة باقــلُ
وقال الدجى للشمس:أنـتِ كسيفةٌ
وقال السهى للبدر وجهك حـائلُ
وطاولت الأرض السمــاء سفــاهة
ونافست النجمَ الحصى والجنـادلُ
فيا مــوت زر إن الحياة ذميمةٌ
ويا نفس جدي إن دهرك هـــازلُ

لو وصلوا إليه ما رجعوا

قيل لعابد: إن أقواما عرفوا الطريق إلى الله ثم رجعوا، فقال: لو وصلوا إليه ما رجعوا.

كلمــات

- إذا أردت أن يسامحك الناس فسامحهم.
- تكلم وأنت غاضب فستقول أعظم حديث تندم عليه طوال حياتك.
- السعيد جدا من لا ينتظر شيئا من أحد.
- رُبَّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلا.
- أفضل الناس من ملك شهوته.
- احرص دائما على صلة الرحم.
- يوم فرحك تذكر يوم حزنك، ويوم حزنك تذكر يوم فرحك.

شكر العينين: إذا رأيت بهما خيراً ذكرته، وإذا رأيت بها شراً سترته.

شكر الأذنين: إذا سمعت بهما خيراً حفظته، وإذا سمعت بهما شراً نسيته.

أضف إلى معلوماتك

بروتين طبيعي يحمي القلب من التلف بعد الأزمات

اكتشف علماء بريطانيون بروتينًا يتكون طبيعيًا بمكنه الحماية من تلف خلايا القلب عقب التعرض لأزمة قلبية.

وجاء في نشرة صادرة عن علماء في معهد القلب في "بريستول" اكتشفوا أن عامل نمو الأعصاب كان يعتقد أنه يؤثر فقط في الخلايا العصبية في الجسم، يؤثر أيضًا في خلايا عضلات القلب.

وقد قام العلماء بتجربة هذا العامل على الفئران، وحصلوا على نتائج مبشرة، فوجدوا أن حقن جين عامل نمو الأعصاب في قلوب الفئران التي تعرضت لأزمة قلبية أوقف موت خلايا القلب.

وذكر كبير الباحثين "كوستانزا إيمانويلي" أنها المرة الأولى التي يتم فيها اكتشاف أن هناك تأثيرًا مساعدًا في البقاء لعامل نمو الأعصاب في القلب، وهناك بعض عوامل نمو أخرى يستخدمها الأطباء بالفعل لعلاج أمراض مختلفة، وقد أظهرت الدراسة أن عامل نمو الأعصاب قد يمثل طريقة جديدة لحماية القلب من التلف عقب الإصابة بأزمة قلبية.

يذكر أن هناك عقاقير متاحة حاليًا يمكنها أن تساعد في منع أو تقليل التلف الذي تسببه الأزمة القلبية من بينها "الأسبرين"، الذي يعمل على سيولة الدم لتحسين تدفقه، وعقارات إذابة التجلطات.

opie de assabil 30 5/03/08 19:34 Page 32

العدد 30 - 21 ذو الحجة 1428 الموافق لـ 01 يناير 2008

الاستقامة
"قل آمنتُ بالله ثم استقم"

الاستقامة أسُّ الديانة، وسبيل السلامة، والكرامة الحقيقية الدنيوية، التي تفضي بالعبد إلى الكرامة الأخروية قال تعالى: "فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أعظم الكرامة لزوم الاستقامة".

فينبغي على كل مسلم عاقل أن يسعى لتحقيقها في نفسه، ويحرص على أن ينال منها حظه، فما لا يدرك كله لا يترك جله، والكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والعاقل من حاسب نفسه قبل أن تحاسب، ووزن أعماله بميزان الشرع قبل أن توزن عليه، وتزيَّن ليوم العرض الأكبر.

تعريف الاستقامة

لأئمة الدين في تعريف الاستقامة وحدها ألفاظ وأقوال مختلفة، ذات دلالة واحدة فمن ذلك:

1- سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة، فقال: "أن لا تشرك بالله شيئاً".

2- وقال عمر رضي الله عنه: "أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب".

3- وقال عثمان رضي الله عنه: "إخلاص العمل لله".

4- وعرفها علي رضي الله عنه: "بأنها أداء الفرائض".

5- وقال الحسن البصري رحمه الله: "استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته".

6- وقال مجاهد رحمه الله: "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله".

7- وقال ابن زيد وقتادة رحمهما الله: "الاستقامة على طاعة الله".

8- وقال سفيان الثوري رحمه الله: "العمل على وفاق القول".

9- وقال الربيع بن خيثم رحمه الله: "الإعراض عما سوى الله".

10- وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "الزهد في الفانية، والرغبة في الباقية".

11- وقال ابن تيمية رحمه الله: "الاستقامة على محبة الله وعبوديته، وعدم الالتفات عنه يمنة أو يسرة".

فمن خلال ما ذكر يتبين أن الاستقامة من الكلمات الجامعة المانعة كالبر، والخير، والعبادة، فلها تعلق بالقول، والفعل، والاعتقاد.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "هذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها: اعتدلوا على طاعة الله، عقداً، وقولاً، وفعلاً، **وداوموا على ذلك**".

وقال ابن القيم رحمه الله: "فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء.

والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها، وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله".

ويترجم ذلك كله إلى:

أولاً: الإيمان الصادق بالله عز وجل.

ثانياً: الاتباع الكامل والاقتداء التام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثالثاً: أداء الواجبات والحرص على المستحبات.

رابعاً: الانتهاء عن المحرمات والمكروهات.

خامساً: الإكثار من النوافل والتطوعات.

سادساً: المداومة على أعمال الخير.

سابعاً: التوسط والاعتدال، فخير الأمور الوسط، وعمل قليل في سبيل سنة خير من كثير في بدعة.

ثامناً: حفظ الجوارح وسجن اللسان.

تاسعاً: السعي لتزكية النفس.

عاشراً: الاجتهاد في طاعة الله عز وجل، وفي نيل مرضاته قدر الطاقة، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

أدلة الاستقامة

لقد حثَّ الله على الاستقامة، وأمر بها عباده، وكذلك حض عليها نبيه صلى الله عليه وسلم، من ذلك:

قوله تعالى: "اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ".

وقوله: " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ".

وقوله: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ".

وقال مخاطباً الرسول وأمته: "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ".

وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل آمنتُ بالله ثم استقم".

ما الذي يعين على تحقيق الاستقامة؟

الاستقامة على أمر الله نعمة عظيمة، ودرجة رفيعة، ومنة عالية، فتحقيقها يحتاج إلى جد واجتهاد، وصبر واحتساب، ودعاء وتضرع، وإخبات وتوفيق، واحتراز.

وأهم المعينات على تحقيق ذلك بعد توفيق الله عز وجل ما يأتي:

أولاً: الدعاء والتضرع، وسؤالها بجد وإخلاص، ولأهمية ذلك أمرنا بقراءة الفاتحة في كل ركعة، لما فيها من سؤال الصراط المستقيم المخالف لأصحاب الجحيم.

ثانياً: الاشتغال بالعلم الشرعي، فالعلم قائد والعمل تبع له: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ"، فأمر بالعلم قبل العمل.

ثالثاً: الحرص على التمسك بالسنة، فهي سفينة النجاة، والحذر كل الحذر من البدع وأهلها، فإن ذلك هو الداء العظيم، والضلال المبين.

رابعاً: مراقبة الله في السر والعلن.

خامساً: مجاهدة النفس، والهوى، والشيطان، وعدم الغفلة عن ذلك، ومحاسبتها في كل وقت وحين، وعلى الجليل والحقير.

سادساً: الإكثار من تلاوة القرآن، ومحاولة حفظه أو ما تيسر منه.

سابعاً: الإكثار من ذكر الله عز وجل، والمداومة على أذكار الصباح والمساء، وأذكار وأدعية المناسبات المختلفات.

ثامناً: الحرص على سلامة القلب، والحذر من أمراض القلب المعنوية، كالحسد، والرياء، والنفاق، والشك، والحرص، والطمع، والعُجْب، والكِبْر، وطول الأمل، وحب الدنيا، فإنها أخطر من أمراضه الحسية، وهي سبب لكل رزية.

تاسعاً: تحقيق مقامات الإيمان: المحبة والخوف والرجاء.

عاشراً: مزاحمة العلماء بالركب، والقرب منهم، والحرص على الاستفادة منهم، واقتباس الأدب والسلوك قبل العلم والمعرفة.

أحد عشر: دراسة السيرة النبوية، وتراجم الأصحاب والعلماء.

الثاني عشر: الحرص على معاشرة الأخيار، فالمرء على دين خليله، والصاحب ساحب.

الثالث عشر: الإكثار من ذكر الموت وتوقعه في كل وقت وحين، فهو أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الرابع عشر: القناعة بما قسم الله، والرضا بذلك، والنظر إلى من هو دونك وليس إلى من هو أرفع منك في شأن الدنيا، أما في شأن الدين: "وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ".

الخامس عشر: الخوف والحذر من سوء الخاتمة.

السادس عشر: سؤال الله والاستعاذة به من الفتن المضلة ما ظهر منها وما بطن.

السابع عشر: الاستفادة من الوقت، والحرص عليه، فما العمر إلا أيام، وساعات، وثوان.

الثامن عشر: تجديد التوبة والإنابة، مع تحقيق شروطها والحرص على أن تكون توبة نصوحاً.

ثمار الاستقامة ونتائجها

ما أكثر ثمار الاستقامة، وما أجل نتائجها، إذ العبرة بالخواتيم من ذلك:

1- السعادة في الدنيا.

فلستُ أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد

2- نزول ملائكة الرحمة على المستقيمين عند الموت مطمئنة ومثبتة لهم، ومبشرة إياهم: "أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا"، أي لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم.

3- وكذلك تبشرهم في القبر بالقول الثابت.

4- وعند القيام للبعث والنشور.

5- دخول الجنة دار الكرامة والمقامة: "لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ".

فاللهم ارزقنا الاستقامة، وأحلنا دار الكرامة، وأجرنا من الذل، والخزي، والمهانة.